الصورة الأدبية العظمى للفظ الجلالة

وأبعاد كمالاتها اللابدائية واللانهائية

دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ أدبية

إعداد

د. ماهر أحمد سيد على سقال

مـدرس الأدب والنقـد

بكلية اللغة العربية بأسيوط

الصورة الأدبية العظمى للفظ الجلالة وأبعاد كمالاتها اللابدائية واللانهائية (دراسة تحليلية)

ماهر أحمد سيد علي سقال
كلية اللغة العربية– جامعة الأزهر فرع أسيوط– جمهورية مصر العربية
البريد الإلكتروني: maherali.47@azhar.edu.eg

الملخص:

كشف هذا البحث عن أعظم صورة أدبية على الإطلاق لأنها تتعلق بأعظم لفظ تلفظت به الشفتان ونطق به اللسان ألا وهو لفظ الجلالة الذي اختص بسمات فنية عالية خاصة تميز صورته الأدبية

وقد أشار هذا البحث إلى رؤية بعض الأدباء كأبي بكر الصولي حول لفظ الجلالة فلا يصفونه بالاشتقاق ولا بالجمود بل يصفونه بأحدية الصورة الأدبية المفهومة من قوله تعالى:(قل هو الله أحد) كما يصفونه بوحدانية المضمون فلا يطلق إلا على ذات الله ولا يسمي به غير الله مصداقا لقوله تعالى (هل تعلم له سميا)

ولا يخفى أثر الإيقاع الموسيقى للفظ الجلالة على راحة النفس وطمأنينة القلب وإثارة عاطفة الطرب والفرح وعواطف الحق والعدل والخير والجمال وغيرها من العواطف والأحاسيس الإنسانية النبيلة فمثلا عند تحقيق الهدف والعدل تفزع النفس إلى ذكر اللهولفظ الجلالة يمتاز بصورة أدبية كلية تتعلق بها جميع أسماء الله الحسنى لتكون كالصفات له جل وعلا فهو الله القوي الغالب القاهر فوق عباده وهو الرحمن الرحيم مما يوحي بوصف الصورة الأدبية بصفات الجلال والجمال

وإذا كان من صفات لفظ الجلالة أنه الأول والآخر والظاهر والباطن فهذا يؤكد اتساع الصورة الأدبية للفظ الجلالة إلي ما لا بداية ولا نهاية له ولا عجب فهو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية وظاهره في باطنه ومن ثم حارت فيه ا لعقول والألباب فلم تدركه مصداقا لقوله تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)

فمعني لفظ الجلالة: كمال مطلق لا بداية ولا نهاية له في كمال مطلق لا بداية ولا نهاية له ومن ثم اتسعت أبعاد كمالات الصورة الأدبية للفظ الجلالة إلي ما لا بداية ولا نهاية له

الكلمات المفتاحية: الأدبية، العظمى، الجلالة، اللابدائية، اللانهائية

The Great Literary Image of the Word of Majesty and the Dimensions of Its Eternal and Infinite Perfections (An Analytical Study)

Maher Ahmed Sayed Ali Saqal
Faculty of Arabic Language - Al-Azhar University, Assiut Branch - Arab Republic of Egypt

Email: maherali.47@azhar.edu.eg

Summary:
This research revealed the greatest literary image ever, because it relates to the greatest word uttered by the lips and uttered by the tongue, which is the word of majesty, which is characterized by special high artistic features that distinguish its literary image.
This research referred to the vision of some writers, such as Abi Bakr Al-Souli, about the word Majesty.
As they describe it with the oneness of the content, it is not used except for the essence of God, and no one is called by it other than God, validating His saying, the Most High: (Do you know a name for Him) The impact of the musical rhythm of the word of majesty on the comfort of the soul and the tranquility of the heart and arouse the emotion of rapture and joy and the emotions of truth, justice, goodness, beauty and other noble human emotions and feelings, for example when achieving the goal and justice the soul panics to remember God
The word majesty is distinguished by a comprehensive literary image to which all the most beautiful names of God are related, so that they are like the attributes of Him, may He be exalted and exalted.
And if one of the attributes of the word of majesty is that it is the first, the last, the apparent and the hidden, then this

confirms the breadth of the literary image of the word majesty to what has no beginning and no end and no wonder, then it is the first without beginning and the last without end and its appearance is in its interior, and then the minds and minds were puzzled about it, so you did not realize it as a proof of the saying of the Most High(Sights do not perceive Him, but He perceives visions, and He is the Subtle, the Aware.)

So the meaning of the word majesty is: Absolute perfection that has no beginning and no end in absolute perfection that has no beginning and no end, and then the dimensions of the perfections of the literary image of the word majesty expanded to what has no beginning and no end.

Keywords: literary, great, majesty, primeval, infinite

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد؛ الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله، اللهم فصل وسلم عليه صلاة عظيمة دائمة بدوام الله العظيم، تعظيماً لحقك يا مولانا يا محمد يا ذا الخلق العظيم، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين ؛؛؛

وبعد: فالأصل في الاسم أنه رداء المسمى، والصورة اللفظية التي تطلق عليه، والتي ينبغي أن تطابق حقيقة المسمى، فإذا كان المسمى هو ذات الخالق ــ جل وعلا ــ فكيف بالاسم الذي يطابقه؟ وكيف بصورته اللفظية الأدبية الحقيقية التي تناسبه ولا تطلق إلا عليه ؟

لاشك أنه لفظ الجلالة بصورته الأدبية الحقيقية العظيمة التي تفوق الخيال في تأثيرها؛ لأنها تحوي لكل المعاني والأفكار الكمالية التي لا تليق إلا بذات الله العلية المقدسة، ومن ثم فلا يسمى به غير الله؛ مصداقاً لقوله تعالى : فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِياً (١) .

وقد حارت عقول عمالقة العربية في لفظ الجلالة الأعظم؛ حتى أخطأ فيه سيبويه حين قال باشتقاقه من مادة (ألَه) أو من مادة (لاه) وخالف شيخه الخليل بن أحمد الذي قال بأنه اسم جامد.

---

(١) آية رقم : ٦٥ من سورة : مريم.

وقد ذكرت من الأدلة ما ينفي اشتقاق لفظ الجلالة من غيره؛ لأنه واحد في مضمونه وإطلاقه على ذات الله العلية المقدسة، كما أنه أحد في لفظه ومادته اللغوية، فلم يشتق ولم يتولد من شيء قبله؛ لأن الله ــ تعالى ــ قد كان ولا شيء قبله، فكيف يشتق من شيء قبله؟

وإذا كان الاشتقاق بمعنى التوليد وأخذ فرع من أصل لغوي سبقه، فهذا ما يدعو إلى مناسبة لفظ الجلالة لذات الله العلية المقدسة التي لم تتركب من أجزاء، ولم تولد من شيء قبلها، فكذا لفظ الجلالة الذي لم يشتق ولم يتولد من أصل لغوي قبله.

وأرى أنه لا يصح أيضاً وصف لفظ الجلالة بالجمود؛ تأدباً مع الله رب العالمين؛ بل يوصف بما وصفه القرآن الكريم في قوله تعالى : قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ [1] فهو أحدي الذات واللفظ؛ مما يؤكد وحدة الصورة الفنية العظمى للفظ الجلالة بأسلوب معجز تحار فيه عقول النقاد والأدباء، فلا يسعهم إلا الوقوف والإيمان بقوله تعالى : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ [2] .

ويبدو أن ولع سيبويه وتقديسه لقواعد النحو والتصريف قد خيل له إمكان تطبيق هذه القواعد على كل شيء ناسياً أن لفظ الجلالة علم على ذات الله الذي ليس كمثله شيء؛ ومن ثم فلا عجب في أن تقف قواعد العربية عاجزة عن تحديد أسرار لفظ الجلالة لتبقى ثمرة الإيمان به غيباً، لفظاً، ومضموناً؛ لأنه لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف

---

(١) سورة الإخلاص .

(٢) آية رقم ١١ من سورة : الشورى.

الخبير؛ ومع ذلك لا ننسى خدمة سيبويه للعربية والإسلام، ولعله رجع عن هذا الخطأ حتى غفر الله له، فقد ذكر بعض المحققين أنه قد رأى سيبويه في منامه بعد موته ، فقال له : ماذا صنع الله بك؟ فقال: غفر لي، قيل له: فبم؟ قال: بقولي ([الله] أعرف المعارف) .[١]

وكان شيخ الأدباء أبو بكر الصولي ــ رحمه الله ــ لا يحب ما ذكره اللغويون من اشتقاق لفظ الجلالة، أو جموده، فيقول:

" والله ــ تبارك اسمه ــ اسم خاص للمعبود ــ جل وعلا ــ ... ولا يعرف لهذا الاسم اشتقاق من فعل، ولا أحب ذكر ما قاله النحويون فيه ".[٢]

ولاشك أن تحليل الأدباء للنص هو أسمى وأدق أنواع التحاليل اللغوية؛ لأنهم يعيشون مع كل لفظ بعقولهم وعواطفهم القلبية؛ بالإضافة إلى ما يملكون من آليات فنية، تعينهم على فهم أسرار النص الأدبي.

ولفظ الجلالة وإن كان لفظاً واحداً أحداً؛ لكنه يحوي لكل المعاني والأفكار الكاملة التي تليق بذات الله العلية المقدسة والتي لا يمكن أبداً أن تجد مثلها في كل النصوص الأدبية؛ ولذا تمتد أبعاد كمالات الصورة الأدبية العظمى للفظ الجلالة إلى ما لا بداية ولا نهاية له؛ لتناسب كمالات ذات الله ــ تعالى ــ التي لا بداية ولا نهاية لها؛ ومن ثم فتحليل الصورة الأدبية

---

(١) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني ٩٤/١ ط / دار القبلية ــ جدة ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ، تحقيق / أحمد الخراط ٢٤/١ ، ط/ دار القلم ــ دمشق.

(٢) أدب الكتاب للصولي ــ تعليق / محمد بهجة الأثري ص ٣٣ ط/ سنة ١٣٤١هـ ــ المطبعة السلفية ــ مصر .

العظمى للفظ الجلالة أدق وأسمى من تحليل أرقى النصوص الأدبية؛ فضلاً عن وحدة وأحدية الصورة الفنية العظمى للفظ الجلالة التي تناسب وحدة وأحدية الذات العلية التي لم تتركب من أجزاء ليتنزه عن مماثلة الخلائق كما ورد في عقيدة أهل السنة والجماعة، وهذا لا يناقض نسبة اليد إليه في قوله تعالى يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ[1] فله يد لا يعلمها إلا هو وإن أولها بعضهم بمعنى القدرة، وعلى كل فهو الواحد وحدة أحدية كاملة تناسب ذاته العلية المقدسة.

ومن صفات لفظ الجلالة أنه الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية، وأنه الظاهر والباطن، والحي القيوم القادر ... الخ ؛ مما يؤكد اتساع أبعاد كمالات الصورة الأدبية العظمى ووصفها بجميع معاني الكمال والجمال، والجلال التي تليق بذات الله العلية المقدسة، ومن ثم فهي صورة عظيمة تعد معجزة أدبية لا مثيل لها؛ لأنها علم على ذات الله العظيم الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وهذا لا يتعارض مع إيهام اعتماد الصورة الأدبية على التشبيه التمثيلي المفهوم من قوله تعالى : اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ .... [2] فقد أول بعض الأدباء هذا النور بالقرآن الكريم ، أو بنور النبي ﷺ والمؤمنين؛ لدفع إيهام التشبيه.[3]

---

(١) آية رقم : ١٠ من سورة : الفتح.

(٢) آية : ٣٥ من سورة النور.

(٣) ينظر: المثل السائر في أدب الشاعر والكاتب لابن الأثير ، تحقيق/ أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، جـ ٢ ص ١٠١، طبعة دار نهضة مصر ـ الفجالة ـ القاهرة.

وذكر ابن القيم ، والعلوي، والأصفهاني في محاضرات الأدباء وغيرهم أن المراد هو الصورة النورانية للفظ الجلالة التي تتعلق بذات الله العلية المقدسة.(١)

وهذا ليس على سبيل المماثلة أو المشابهة؛ بل على سبيل ضرب المثل؛ لقوله ــ جل وعلا ــ في آخر الآية وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢).

وضرب المثل للإيضاح والإرشاد؛ بإيراد ما لا تدركه الأبصار في صورة ما تدركه؛ ليزداد الإيمان بنور الله الأعظم الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وقد اتخذ الأدباء والشعراء هذا المثل قبلة لهم في صورهم الأدبية فألحقوا الأعلى بالأدنى على سبيل ضرب المثل للإيضاح، كما في رد أبي تمام على النقاد، وقوله في مدح الأمير أحمد بن المعتصم : (٣)

لا تنكروا ضربي له من دونه ∴ مثلا شروداً في الندى والباس

---

(١) ينظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني ٢/٢٩٠ ، ط/ الأولى: دار الأرقم ــ بيروت، الطراز للعلوي ١/١٥١، ٣/١٨٥ ط/ الأولى ــ بيروت ، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لابن محمد الغنيمان ١/١٧٤ ، ١٧٥ ، ط / الأولى ــ مكتبة الدار ــ المدينة المنورة.

(٢) آية : ٣٥ من سورة النور .

(٣) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي . تحقيق / محمد عزام ، مجلد ٢ . ص ٢٥٠ ط/ دار المعارف ، العمدة لابن رشيق ١/١٩٢ ، ٢٨٢ ، ط/ الخامسة ــ دار الجيل ، والبيتان من بحر الكامل.

فالله قد ضرب الأقل لنوره ∴ مثلا من المشكاة والنبراس

وأرى مبالغة أبي تمام واضحة في البيت الثاني؛ لأن نور الله لا يماثله شيء، وقد صوره القرآن الكريم تصويراً أدبياً رائعاً في هيئة مشكاة فيها مصباح في زجاجة؛ تضيء كأنها كوكب دري، يوقد من شجرة مباركة في وحدة فنية رائعة متآلفة لا مثيل لها في أنوار الخلائق.

هذا ولا يخفى ما في لفظ الجلالة من إيقاع موسيقي له أثره الواضح في إيقاظ العواطف النبيلة، فيثير عاطفة الحب والمرح، والطرب والفرح، والخوف والوجل من الله رب العالمين، كما يثير عواطف الحق والخير والجمال، فمثلاً: إذا رأت العين ما يسرها قالت : الله ! وكذا عند تحقيق النصر والنجاح ، وإحراز الهدف؛ مما يدل على أثره الواضح في إثارة العواطف النبيلة ؛ ومن ثم تتضح لنا القيمة الفنية والأدبية العالية للفظ الجلالة؛ حيث تبقى صورته الأدبية العظمى حية خالدة بدوام الله الحي القيوم، ويتكون شكلها من لفظ واحد أحد هو لفظ الجلالة الذي يدل مضمونه على ما لا بداية ولا نهاية له من المعاني والأفكار السامية التي لا تليق إلا بذات الله العلية المقدسة.

ولعل في جميع ما سبق ما يسوغ لقلمي أن يحظ بشرف الكتابة في هذا الموضوع العظيم على الرغم مما احتاجه من الجهد الكثيف، والوقت الكثير؛ حتى وصل ــ بفضل الله تعالى ــ إلى صورته النهائية، فقد أوقفت قلبي وعقلي وجميع جوارحي مع الأدلة النقلية الإسلامية من أجل تحليل الصورة الأدبية العظمى للفظ الجلالة؛ تحليلاً أدبياً سامياً؛ بعقيدة إسلامية صحيحة؛ حتى انتهيت إلى أنها : كمال مطلق لا بداية ولا نهاية له في كمال مطلق لا بداية ولا نهاية له؛ ومن ثم فأبعاد كمالاتها الفنية لا تدركها

الأبصار، ولا تحيط بها العقول والأفهام.

ولاشك أن من يخاطب ملكاً يختار له الألفاظ التي تناسبه، فكيف بمن يغوص في أسرار لفظ الجلالة الذي هو علم على ذات الله المقدسة؟

والله يعلم كم كنت أفكر وأحقق في الألفاظ التي أكتبها؛ لتناسب لفظ الجلالة !!!

وكم يصعب على الباحث أن يدور بحثه كاملاً في لفظ واحد أحد!! ولذا فقد اعتمدت فيه على فتح الله ــ تعالى ــ وفيضه كثيراً؛ معضداً خواطري بالأدلة القوية من القرآن والسنة؛ مستعيناً ببعض مصادر العقيدة والتوحيد، والأدب والنقد، واللغة ؛ منتهجاً المنهج التكاملي الذي يأخذ من المناهج الأدبية والنقدية، واللغوية، والتحليلية والنفسية والعقدية وغيرها ما يخدم مصلحة البحث.

هذا وقد قمت بتخريج الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأبيات الشعرية من مصادرها المعتمدة مع الالتزام بعلامات الترقيم ــ ما أمكن ــ في جميع صفحات البحث.

أما خطة البحث : فقد جاءت في مقدمة، وتمهيد ، وسبعة مباحث كالآتي:

أولاً: المقدمة، وقد تحدثت فيها بإيجاز عن قيمة هذا الموضوع، وأسباب اختياره، وأهم صعوباته، وكيف أضاف إلى الأدب العربي صورة أدبية لا مثيل ولا نظير لها في تاريخ الآداب العربية والعالمية، لأنها لا تليق إلا بذات الله العلية المقدسة.

ثانياً: التمهيد: لفظ الجلالة بين الاسم ، والمسمى، وقد توصلت فيه بالتأصيل اللغوي إلى أن لفظ الجلالة هو الرداء اللفظي لذات الله العلية

المقدسة.

ثالثاً: قلب الخطة ، ويشمل المباحث الآتية:

المبحث الأول: لفظ الجلالة واسم الله الأعظم.

المبحث الثاني: لفظ الجلالة بين أحدية ووحدانية الصورة الأدبية.

المبحث الثالث: الإيقاع الموسيقي للفظ الجلالة وأثره في إثارة العواطف النبيلة.

المبحث الرابع: الصورة الكلية للفظ الجلالة ومتعلقاتها.

المبحث الخامس: الصورة الأدبية للفظ الجلالة ، ودفع إيهام التشبيه والتمثيل.

المبحث السادس: لفظ الجلالة وأبعاد كمالات الصورة الأدبية.

المبحث السابع: نماذج من لفظ الجلالة في تراثنا الأدبي.

رابعاً: الخاتمة ، وبعدها فهرس المصادر والمراجع ، ثم فهرس الموضوعات.

وأخيراً أسأل الله ــ تعالى ــ أن يجعلنا من الصادقين في خدمة دينه القويم، وأن يحفظنا وسائر القراء الكرام من الفتن والمكائد ما ظهر منها وما بطن، وأن يمدنا في حياتنا وبعد مماتنا بمدد هذا الاسم الأعظم، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعنا به وسائر المسلمين والمسلمات، والآدميين والآدميات، وأن يكتب له النجاح والقبول، فإنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

تمهيد

لفظ الجلالة بين مفهوم الاسم وعلاقته بالمسمى

قبل الحديث عن لفظ الجلالة الذي هو اسم الله الأعظم ــ في رأيي ــ لما له من السمات والصفات ما ليس لغيره من سائر أسماء الله الحسنى، فلابد من معرفة المفهوم اللغوي للاسم وعلاقته بالمسمى.

ذهب أكثر علماء اللغة إلى أن الاسم مشتق من السمو بمعنى العلو، وهمزته للوصل، وأصله سمو ــ بكسر السين وسكون الميم ــ فحذفت واوه التي في آخره وعوض عنها بهمزة الوصل، فقيل: اسم ، يقال: سما يسمو سمواً إذا علا وارتفع ، ومنه إطلاق السماء على كل ما علاك فأظلك.(١)

وعلى هذا المعنى، فما صلة الاسم بالمسمى ؟

أقول (والله أعلم) : إن المسمى يظهر على غيره ، ويعلو ويرتفع باسمه الذي يطلق عليه؛ حتى يصير علماً على شخصه فلا يعرف إلا به.

وذهب بعض الكوفيين إلى أن الاسم مشتق من وسم ، وحذفت الواو وعوض عنها بهمزة الوصل، ومنه السمة بمعنى العلامة، تقول: وسمت

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، تحقيق/ محمد عوض مرعب ٧٩/١٣ ، ط/ الأولى لسنة ٢٠٠١م ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت، المخصص لابن سيدة ، تحقيق / خليل جفال ٢١٥/٥ ، ط/ الأولى سنة ١٤١٧هـ ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ، لسان العرب لابن منظور ٣٩٨/١٤ ط/ الثالثة ١٤١٤هـ ــ دار صادر بيروت.

الشيء إذا علمته بسمات تميزه عن غيره. (١)

وأرى بأن لا تناقض بين المعنيين ، فالاسم إذا رفع المسمى وأظهره وسما به وارتفع عن غيره؛ صار علامة وسمة له تميزه عن غيره، فلا يعرف إلا بها.

وعلى كلا المعنيين يمكنني أن أقول: إن الاسم هو الرداء اللفظي للمسمى ، والمسمى هو الرداء المعنوي للاسم؛ مما يدل على ارتباط بعضهما ببعض.

وإذا كان الاسم هو الرداء اللفظي للمسمى، فهل هناك اسم يصلح أن يكون رداء لفظياً لذات الله العلية المقدسة ؟ وذلك في إطار قول الله ــ تعالى ــ : " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ" (٢).

وإذا صح فما هو ذلك الاسم الذي يصلح أن يكون رداء لفظياً للذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ؟

وهذا ما ستأتي الإجابة عنه ــ إن شاء الله (تعالى) ــ في الفصول القادمة .

---

(١) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر الأنباري ، تحقيق: د/ حاتم الضامن ١٣٦/٢ ط/ الأولى سنة ١٤١٢هـ ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت .

(٢) آية رقم : ١١ من سورة : الشورى.

المبحث الأول

لفظ الجلالة واسم الله الأعظم

لاشك أن لله ــ جل وعلا ــ أسماء حسنى قد أمرنا أن ندعوه بها، فقال تعالى :وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا (١) .

وقد بين رسول الله ﷺ عدد هذه الأسماء الحسنى؛ حيث روى الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ﷺ قال: " إن لله تسعة وتسعين اسما؛ مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة " . (٢)

وقد اختص الله ــ تعالى ــ من بين هذه الأسماء اسماً عظيماً أعظم وجعله أخص أسمائه وأعظمها ، فإذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى.

وقد دارت أحاديث كثيرة حول اسم الله العظيم الأعظم؛ مما أثار جدلاً واسعاً بين العلماء في تحديده؛ لأن النبي ﷺ لم يصرح به، وإنما ذكره بطريق الرمز والكناية.

فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن أسماء بنت يزيد، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول : في هاتين الآيتين اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ[البقرة: ٢٥٥] والم * اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ [آل عمران

---

(١) آية رقم : ١٨٠ من سورة : الأعراف.

(٢) صحيح البخاري . تحقيق/ محمد زهير ١٩٨/٣ ، ط/ الأولى سنة ١٤٢٢هـ ، صحيح مسلم . تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي ٢٠٦٣/٤ ، ط/ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت .

: ٢] إن فيهما اسم الله الأعظم " . (١)

وفي سنن الترمذي عن أسماء بنت يزيد أن النبي ﷺ قال: " اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين : وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُـوَ الـرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ [البقرة: ١٦٣] وفاتحة آل عمران الـم * اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ".

وقال عنه الترمذي : " هذا حديث حسن صحيح ". (٢)

وفي رواية ابن عباس عن النبي ﷺ قال : " اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في هذه الآية من آل عمران : قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَن تَشَاءُ ... [آل عمران : ٢٦] " (٣)

وروى الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : " إن اسم الله الأعظم في ثلاث سور من القرآن، في سورة البقرة وآل عمران وطه " . (٤)

وفي رواية سعيد بن المسيب عن سعد بن مالك ــ رضي الله عنه

---

(١) مسند الإمام أحمد . تحقيق/ شعيب الأرنؤوط ٥٨٤/٤٥ ط/ الأولى ١٤٢١هـ ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت .

(٢) سنن الترمذي . تحقيق/ أحمد محمد شاكر ، محمد فؤاد عبد الباقي ٥١٧/٥ ، ط/ الثانية سنة ١٢٩٥هـ ــ مكتبة مصطفى الحلبي، العقد الفريد لابن عبد ربه ١٧٧/٣ ط/ الأولى دار الكتب العلمية ــ بيروت .

(٣) المعجم الكبير للطبراني . تحقيق/ حمدي عبد المجيد السلفي ١٧١/١٢، ط/ الثانية ــ مكتبة ابن تيمية ــ القاهرة.

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ٦٨٤/١ . تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا . ط/ الأولى سنة ١٤١١هـ ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت .

ــ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " هل أدلكم على اسم الله الأعظم الذي إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى ؟ الدعوة التي دعا بها يونس حيث ناداه في الظلمات الثلاث لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فقال رجل : يا رسول : هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة ؟ فقال رسول الله ﷺ " ألم تسمع قول الله ــ عز وجل ــ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي المُؤْمِنِينَ [الأنبياء: ٨٨] وقال رسول الله ﷺ : " أيما مسلم دعا بها في مرضه أربعين مرة فمات في مرضه ذلك، أعطي أجر شهيد، وإن برأ برأ وقد غفر الله جميع ذنوبه " . (١)

ومع هذه الأحاديث الكثيرة، ورواياتها المتعددة، فقد ذهب بعض العلماء إلى أن جميع أسماء الله الحسنى ليس منها اسم أعظم من اسم ، بل كلها عظيمة جليلة ، وأن معنى دعا باسمه الأعظم أي: دعا باسمه العظيم ، فيكون الأعظم بمعنى العظيم، واعترض بأنه لو كان كل اسم من اسماء الله عظيماً ليس أعظم من غيره ؛ لكان كل من دعا باسم من أسمائه مجاباً دعاؤه كما استجيب لصاحب سليمان الذي كان عنده علم من اسم الله الأعظم. (٢)

وكذلك عيسى ــ عليه السلام ــ الذي كان يبرئ الأكمه والأبرص

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٦٨٥/١.

(٢) هو آصف بن برخيا ، ولي صالح من أمة نبي الله سليمان ــ عليه السلام ــ كان معه اسم الله الأعظم الذي دعا به حتى أتى بعرش بقليس قبل لمحة العين . ينظر : نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ١٢١/١٤، ط/ الأولى : سنة ١٤٢٢هـ ــ دار الكتب والوثائق القومية ــ القاهرة .

ويحيي الموتى بإذن الله، داعياً باسمه الأعظم، وقد يدعو أحدنا الدهر الطويل بأسمائه فلا يستجاب له ، فدل على أن الأمر بخلاف ذلك، ورد بأن ألسنة الداعين تختلف حسب ظروفهم وأحوالهم. (١)

وفي حديث الحاكم السابق برواية سعيد بن المسيب وقوله ﷺ : هل أدلكم على اسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى؟ فيه رد كاف على من نفى وجود اسم الله العظيم الأعظم بين أسماء الله الحسنى.

وفي حديث بريدة الأسلمي أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول : "اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت ، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، فقال: لقد سأل الله باسمه الأعظم ".

وقد حسن الحافظ المقدسي إسناد هذه الرواية، وقال: هذا إسناد لا مطعن فيه، وأكد به بدر الدين العيني على بطلان مذهب من ذهب إلى نفي القول بأن لله اسماً هو الاسم الأعظم. (٢)

ومن هنا فلا جرم في اعتقاد أن يكون لله اسم عظيم أعظم، هو أعظم أسمائه الحسنى مع وجوب اعتقاد أن جميع أسماء الله الحسنى عظيمة في ذاتها، وإن اختلف العلماء في تحديد هذا الاسم العظيم الأعظم إلى أقاويل كثيرة من أهمها : كلمة التوحيد التي دعا بها سيدنا يونس ــ عليه السلام ــ وهو في بطن الحوت، فقال: لا إله إلا أنت سبحانك .... كما

---

(١) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال . تحقيق : ياسر بن إبراهيم ١٤٤/١٠، ١٤٥ ، ط/ الثانية سنة ١٤٢٣هـ ــ مكتبة الرشد ــ الرياض.

(٢) ينظر: شرح سنن أبي داود لبدر الدين العيني ٤٠٥/٥ ط/ الأولى سنة ١٤٢٠هـ ــ مكتبة الرشد ــ الرياض.

رواية سعيد بن المسيب السابقة ، وهو كلمة التوحيد والإخلاص، وقيل: إنه اسم الله الأعظم، وذكره ابن حجر ضمن آراء العلماء حول اسم الله الأعظم.(١)

وحكى بدر الدين العيني عن ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ قال: إن اسم الله الأعظم هو (حم) في أوائل بعض سور القرآن الكريم. (٢)

وذكر أبو الحسن نور الدين الملا القاري حديث " ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام " (٣) ثم قال : قيل : لأنه الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب. (٤)

والمعنى : ألحوا في الدعاء، وأكثروا من قول: يا ذا الجلال والإكرام؛ حتى يستجيب الله لكم .

وقيل: إن اسم الله العظيم الأعظم هو الرحمن الرحيم، وقيل: هو الحي القيوم؛ لورود هذه الأسماء الحسنى في السور أو الآيات القرآنية التي أشار إليها رسول اللهﷺ وقال: إن فيها اسم الله الأعظم كما تقدم في الأحاديث السابقة. (٥)

هذه هي أهم الآراء الواردة في تحديد اسم الله العظيم الأعظم، لكن

---

(١) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٢٠٧/١١، ط/ دار المعرفة ــ بيروت، وحياة الحيوان للدميري ٥٩/١ ط/ الثانية سنة ١٤٢٤هـ .

(٢) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني ١٤٧/١٩ ، ط/ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت .

(٣) المستدرك على الصحيحين ٦٧٦/١.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن الملا الهروي القاري ١٥٨٥/٤ ، ط/ الأولى سنة ١٤٢٢هـ ــ دار الفكر ــ بيروت .

(٥) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٢٢٤/١١.

يبقى أرجح هذه الآراء الذي أحببت أن أختم به؛ ليكون مسك الختام وهو أن لفظ الجلالة (الله) الذي تشرفت بالحديث عنه في هذا البحث هو اسم الله العظيم الأعظم.

وهذا ما نص عليه أكثر العلماء، يقول ابن دقيق العيد : " وأكثر العلماء أجمعوا على أن لفظ الجلالة اسم الله الأعظم، فهو علم على الذات الأقدس المستحق لجميع المحامد " (١).

وذكر ابن أبي شيبة في مصنفه عن جابر بن زيد، والشعبي قالا: اسم الله الأعظم (الله) (٢).

وذكر العلامة السندي في حاشيته أن الإمام عبد القادر الجيلاني وغيره من جمهور العلماء المحققين قد نصوا على أن اسم الله العظيم الأعظم هو لفظ الجلالة (الله) (٣).

وهذا ما رجحه الإمام الرازي في تفسيره ، فقال: إن الاسم الأعظم هو قولنا (الله) وهذا هو الأقرب عندي لأنا سنقيم الدلالة على أن هذا الاسم يجري مجرى اسم العلم في حقه سبحانه، وإذا كان كذلك كان دالاً على ذاته

---

(١) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ١١/١، ط/ السادسة سنة ١٤٢٤هـ مؤسسة الرسالة.

(٢) الكتاب والمصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر بن أبي شيبة العبسى تحقيق/ كمال يوسف الحوت ٢٣٣/٧ ، ٢٣٤ ، ط/ الأولى سنة ١٤٠٩هـ ـ مكتبة الرشد ـ الرياض.

(٣) ينظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجة (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجة) لأبي الحسن نور الدين السندي ٤٣٨/٢ ط/ دار الجيل ـ بيروت .

المخصوصة[1].

وأرى (والله أعلم) ــ بلا شك ولا إيهام ــ أن لفظ الجلالة (الله) جل جلاله هو الاسم العظيم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى مع إيماني وتعظيمي لكل أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا، بل ويمكنني (إن شاء الله) الرد على الأدلة السابقة التي تناقض ذلك.

فحديث (ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام) بمعنى ألحوا في الدعاء به لا ينفي أن يكون لفظ الجلالة (الله) هو الاسم العظيم الأعظم؛ لأن من صفات الله تعالى أنه ذو الجلال والإكرام، فيقال: الله لفظ الجلالة؛ ومن ثم فالإلحاح بذي الجلال والإكرام فيه إشارة إلى عظمة لفظ الجلالة ؛ مما يؤيد كونه الاسم العظيم الأعظم الذي هو أسرع أسماء الله ــ تعالى ــ في استجابة الدعاء والله أعلم.

وأما من قال بأنه الرحمن الرحيم، أو الحي القيوم ؛ لورودهما في الآيات التي بها اسم الله الأعظم كما أخبر رسول الله ﷺ في الأحاديث السابقة؛ فيمكن الرد عليه بأن لفظ الجلالة (الله) قد ورد أولاً في هذه الآيات الكريمة، فهو كالموصوف ، والأسماء الحسنى بعده صفات له جل وعظم كما في آية اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ... أول آية الكرسي بالبقرة، وأول آل عمران، فلم لا يحمل اسم الله الأعظم على لفظ الجلالة (الله) الذي جاء أولاً ؟

ومن هنا أرى أن من التعسف حمل اسم الله الأعظم على الأسماء

---

(١) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للإمام فخر الدين الرازي ١١١/١ ، ط/ الثالثة سنة ١٤٢٠هـ ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت .

الحسنى التي وردت في تذييل الآيات؛ لاسيما وأنها بمثابة الصفات للفظ الجلالة الذي جاء أولاً في صدر الآيات ؛ مما يدل على أنه اسم العظيم الأعظم والله أعلم.

وأما إخبار النبي ﷺ بأن اسم الله الأعظم في دعاء نبي الله يونس الذي قاله في بطن الحوت وهو (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) فهو يدل على أن لفظ الجلالة هو اسم الله الأعظم؛ لأن ضمير الشأن (أنت) يعود على لفظ الجلالة، كما أن التسبيح لا يكون لله، فلا يتعلق إلا به ولا يضاف إلا إليه؛ ومن ثم فكاف الخطاب العظيمة في قوله (سبحانك) لا تعود إلا على لفظ الجلالة (الله) ؛ مما يدل على أنه اسم الله الأعظم الذي ورد في دعاء سيدنا يونس (على نبينا وعليه السلام) وهو في بطن الحوت والله أعلم.

ولا ينقص من قدر باقي أسماء الله الحسنى أن يختار الله منها اسما أعظم إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى لاسيما وقد أخبر بذلك رسول الله ﷺ في أحاديثه الصحيحة كما تقدم.

هذا مع وجوب الأدب والإيمان الكامل بجميع أسماء الله الحسنى وأنها عظيمة بكمالاتها المقدسة التي تليق بذات الله العلي العظيم.

ومع ما سبق فهناك أدلة كثيرة على أن لفظ الجلالة (الله) هو اسم الله العظيم الأعظم، وسيتضح ذلك إن شاء الله ــ تعالى ــ من خلال التحليل الفني للصورة الأدبية للفظ الجلالة في المباحث القادمة.

المبحث الثاني

لفظ الجلالة بين أحدية ووحدانية الصورة الأدبية

عرف الأدباء والنقاد الصورة الأدبية بأنها هي : الظلال والألوان أو الرؤية الفنية التي تشترك في تكوينها الألفاظ والأساليب، والمعاني أو الأفكار، والمشاعر أو العواطف والأحاسيس، فيعرضها الأديب عرضاً أدبياً طريفاً مؤثراً، ويلونها بالخيال؛ ليعلو بها عن أصلها الحقيقي الواقعي.(١)

إذا كان هذا هو مفهوم الصورة الأدبية للنص الأدبي، فهل يمكن تطبيقها على لفظ الجلالة؛ لنصل إلى رؤية فنية معجزة تدور حول أسرار هذا اللفظ العظيم الأعظم؟

لاشك أن لفظ الجلالة علم على ذات الله العلية المقدسة وقد تحدث الله ــ تعالى ــ عن ذاته جل وعلا فقال: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ(٢) .

فهو ــ جل وعلا ــ واحد في ذاته، وصفاته، وأفعاله؛ ومن ثم فالصورة الأدبية العظمى للفظ الجلالة لا يشابهها ولا يماثلها أي شيء على الإطلاق، ومن ثم فجميع مفاهيم مصطلحات الصورة الأدبية التي وضعها الأدباء والنقاد تظل عاجزة ــ تماماً ــ عن إدراك الصورة الأدبية العظمى للفظ الجلالة وأبعاد كمالاتها اللانهائية.

ولا عجب فقد تحدث القرآن الكريم أيضاً عن ذات الله ــ جل وعلا

---

(١) ينظر: كتاب اتجاهات وآراء في النقد الحديث للدكتور محمد نايل ص : ٧٩ ــ ط/ مطبعة الرسالة.

(٢) آية رقم : ١١ من سورة : الشورى.

ــ فقال تعالى : لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُــوَ يُــدْرِكُ الأَبْصَــارَ وَهُــوَ اللَّطِيــفُ الخَبِيرُ [١].

فكيف يدرك الأدباء والنقاد الصورة الأدبية للفــظ الجلالــة بأبعــاد كمالاتها اللانهائية ؟؟

وقد اعتبر النقاد أن الصورة الأدبية تعد رمزاً مصــدره اللاشــعور الماثل في الخرافات والأساطير التي هي أبلغ تأثيراً من الحقيقة الواقعية في عرفهم.[٢]

وأرى (والله أعلم) أن هذا الكلام ليس علــى إطلاقــه ، فــالحق ــ تبارك وتعالى ــ إذا أتى بصورة أدبية تتعلق بلفظ الجلالــة فهــي حقيقــة واقعية تعلو فوق خيال البشر بمراحل لا يعلمها إلا الله ــ جل وعلا ــ فلــن يستطيع الأدباء إدراكها مهما علت أخيلتهم ، وفلسفاتهم ، وتصوراتهم، ولا عجب فمن أسماء الله ــ تعالى ــ أنه الحق المبين ، قــال تعــالى: يَوْمَئِــذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ [٣].

ليس هذا فقط، بل إن ما ورد من صور أدبية تتعلق بلفظ الله فلابــد من فهمها فهماً صحيحاً في إطار قوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ[٤].

---

(١) آية رقم : ١٠٣ من سورة : الأنعام.

(٢) ينظر: التفسير النفسي للأدب للدكتور/ عز الدين إســماعيل ص : ٧٤ ، ط/ ١٩٦٣ ــ دار المعارف.

(٣) آية رقم : ٢٥ من سورة : النور.

(٤) آية رقم : ١١ من سورة : الشورى.

ومن ذلك قول الله ــ تعالى ــ : اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١).

وقد أول النقاد هذه الآية الكريمة بتأويلات تتناسب مع ذات الله العلية المقدسة، وتدفع إيهام مماثلته ــ جل وعلا ــ لخلقه، كما سيأتي (إن شاء الله تعالى) أثناء التحليل الفني للصورة الأدبية.

وقد بدت الصورة الأدبية بأبعاد كمالاتها اللانهائية واضحة جلية في أحدية لفظ الجلالة مع وحدانية معناه ومضمونه؛ مما أدهش عقلي، وأثار تعجبي كثيراً ويعلم الله ربي !!!

وقد ذكر النقاد أن المضمون أو المعنى: هو الصورة الذهنية التي وضع بإزائها اللفظ (٢).

وقد دعا ابن رشيق إلى ضرورة الارتباط الوثيق بين اللفظ والمعنى، وأنه يضعف بضعفه ويقوى بقوته(٣).

وقد ذكرت في تمهيد هذا البحث أن اللفظ إذا سمي به صار علماً

---

(١) آية : ٣٥ من سورة : النور.

(٢) ينظر: مفهوم الإبداع الفني في النقد العربي القديم لمجدى أحمد توفيق ، ص : ٣٠١ ط/ سنة ١٩٩٣ ــ الهيئة العامة للكتاب.

(٣) ينظر: العمدة لابن رشيق القيراوني . تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج١ ص ١٢٤ ، ط/ الخامسة سنة ١٤٠١هـ ــ دار الجيل ــ بيروت.

على المسمى، ورداء لفظياً له إذا اكتمل بمطابقته للمسمى، وكيف إذا كان المسمى هو الخالق ــ جل وعلا ــ الذي وسع كرسيه السموات والأرض؟

وهو الواحد الأحد ، والفرد الصمد الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، والقادر المقتدر على كل شيء، وقد أحاط بكل شيء علماً ، فلا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير.

وقد وجب له ــ جل وعلا ــ كل كمال يليق بذاته العلية المقدسة واستحال عليه كل نقص، فهل سنرى في لفظ الجلالة العظيم الأعظم صورة أدبية كاملة مكملة تصلح أن تكون رداء لفظياً لهذه الكمالات العظيمة التي لا بداية ولا نهاية لها ؟

بكل إيمان ويقين نعم، وقد ازداد الإيمان واليقين، وحب هذا الدين بعد التحليل الأدبي للفظ الجلالة، وما قاله الأدباء وعلماء اللغة في تحليله كما سيأتي:-

وقد اختلف علماء اللغة في لفظ الجلالة، هل هو اسم مشتق ؟ أم هو اسم جامد ؟

ذكر ابن السراج أنه اسم مشتق، وحكى قول سيبويه أن لفظ الجلالة (الله) اسم مشتق من إله، ثم حذفت الهمزة وعوض عنها بأل، فصار (الله) وكأن أصل الاسم (إله) فلما أدخل فيه الألف واللام حذفوا الهمزة التي في أوله ، وصارت الألف واللام خلفاً منها، وهو على هذا علم[1].

---

(١) ينظر: الأصول في النحو لأبي بكر بن السراج ١١٣/٢ ، ط / مؤسسة الرسالة ــ لبنان .

وحكى البغدادي مذهباً آخر لسيبويه في لفظ الجلالة (الله) وهو أنه ــ جل وعلا ــ مشتق من لاه يليه بمعنى استتر واحتجب ثم دخلت عليه أل فصار الله [١].

وذكر بعضهم أنه مشتق من الوله ، وهو الحيرة، يريد أن العقول تحار في عظمته ، وهمزة إله عندهم بدل من واو [٢].

وذهب بعضهم إلى أن لفظ الجلالة مشتق من لاه يلوه إذا ارتفع ، وقد كانت العرب تقول لكل شيء مرتفع : لاه ، ويقولون إذا طلعت الشمس: لاهت ، ثم دخلت الألف واللام تعظيماً، وفخمت اللام الأولى قال الأعشى[٣]:

كحلفة من أبي رياح ∴ يسمعها لاهه الكبار

وقيل: أصله : ولاه، فابدل من الواو همزة، فتسميته بذلك لكون كل مخلوق والهاً نحوه إما بالتسخير كالجماد والحيوان أو بالتسخير والإرادة كالإنسان[٤].

وقيل: مشتق من لاه يلوه : اضطرب؛ لاضطراب العقول والأفهام

---

(١) ينظر : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي تحقيق وشرح/ عبد السلام هارون ١٧٧/٧، ط/ الرابعة سنة ١٤١٨هـ .

(٢) نتائج الفكر في النحو لأبي القاسم السهيلي ، ص : ٤١ ط/ الأولى سنة ١٤١٢هـ ، ط/ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان .

(٣) ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) تقديم وشرح د/ محمد قاسم ص : ١٦٤ . ط/ الأولى سنة ١٤١٥هـ المكتب الإسلامي ، والبيت من بحر : البسيط.

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني تحقيق / صفوان عدنان ٨٣/١ ، ط/ الأولى سنة ١٤١٢هـ ــ دار القلم ــ بيروت .

دون معرفة ذاته ــ جل وعلا ــ وصفاته [١].

هذا وكلام علماء اللغة كثير حول اشتقاقات لفظ الجلالة وما يدور حوله من معان صريحة أو مؤولة لا يجدي ذكرها؛ لأنها ــ في رأيي ــ لا تتناسب مع كمالات ذات الله العظيمة المقدسة كما سيأتي (إن شاء الله تعالى) في تعقيبي على القضية بعد ذكر الرأي الآخر.

القول الثاني: أن لفظ الجلالة (الله) اسم غير مشتق ، يعني لم يؤخذ من غيره، وهو علم على ذات الله العظيمة المقدسة.

وقد ذهب إلى هذا الرأي الخليل بن أحمد، والإمام أبي حنيفة النعمان، ومحمد بن الحسن كما ذكره أبو الحسن القيراوني في كتابه : النكت في معاني القرآن الكريم وإعرابه [٢].

كما ذهب إلى هذا الرأي أيضاً: الإمام المازني، والزجاج وابن العربي، والسهيلي الذي أشار إلى أن الألف واللام أصلية في لفظ الجلالة ثم وصلت الهمزة لكثرة الاستعمال، واستدل على أصالتها بقطعها في قولهم : (يا أللهُ)[٣].

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي ، تحقيق/ محمد النجار ١٣/٢ ، ط/ إحياء التراث الإسلامي ــ القاهرة .

(٢) ينظر : النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه) لأبي الحسن القيرواني . تحقيق: د/ عبد الله عبد القادر ط/ سنة ١٤٢٨هـ ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت .

(٣) ينظر: نتائج الفكر في النحو لأبي القاسم السهيلي ص ٤٠ ، ٤١ ، ط/ الأولى سنة ١٤١٢هـ ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ، تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم لعبد الرزاق بن فراج الصاعدي ٣٠٦/١ ، ط/ الأولى سنة ١٤٢٢هـ .

واستدل الإمام السهيلي على عدم اشتقاق لفظ الجلالة بقوله : "ويدلك على أنه غير مشتق أنه سبق الأشياء التي زعموا أنه مشتق منها، لا نقول: إن اللفظ قديم، ولكنه متقدم على كل لفظ وعبارة، ويشهد بصحة ذلك قوله ــ عز وجل ــ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِياً [١].

فهذا نص في تعظيم المسمى، وتنبيه على عدم المادة المأخوذ منها الاسم ، مع أنا إذا قلنا بالاشتقاق فيه تعارضت علينا الأقوال، ، فمن قائل يقول: من (إله) إذا عبد، فإله معبود، ومن قائل يقول: من الوله، وهي الحيرة، يريد أن العقول تحار في عظمته ، وهمزة إله عند هؤلاء بدل من واو، ومن قائل يقول: إنه من (الاه) إذا علا ، وسائر الأقوال قريبة من هذه... فإذا تعارضت الأقوال لم يكن بعضها أولى من بعض، فرجعنا إلى القول الأول لما عضده من الدليل، والله الموفق إلى خير قيل!! . [٢]

يريد القول القائل بعدم اشتقاق لفظ الجلالة ، وعدم أخذه من أي مادة لغوية أخرى؛ لأن لفظ الجلالة قد سبق جميع مواد اللغات، فكيف يؤخذ من مادة أتت بعده ؟؟؟

وقد أشار أبو شكيب بن عبد القادر الهلالي إلى المعركة الكبرى التي خاضها علماء العربية حول لفظ الجلالة، وأكد ارتجاله وعدم اشتقاقه من أي مادة أخرى فقال : " المعركة الكبرى التي خاضها علماء العربية في لفظ الجلالة (الله) أهو مرتجل أم مشتق؟ وإن كان مشتقاً فهل اشتقاقه من (إله) أو من (وله) أو من (لاه) ؟ وما هو أصله على كل من هذه الأوجه؟

---

(١) آية رقم : ٦٥ من سورة : مريم.

(٢) نتائج الفكر في النحو لأبي القاسم السهيلي ص ٤١.

وماذا جرى عليه من الحذف والإدغام حتى بلغ صورته التي هو عليها؟ ومن تعلم شيئاً من اللغات السامية لا ينقضي عجبه من الخائضين في تلك المعركة ويرى جهودهم ضائعة ويحكم يقينا أن الاسم الكريم مرتجل بلا مرية وهو بعيد كل البعد من الاشتقاق، فإنه ثابت بهذا اللفظ في جميع اللغات السامية ، ففي السريانية (ألاها) ، والشرقيون منهم ينطقون به (الاهو) وبالعبرانية (الوهيم) ولا تختلف الشعوب السامية فيما أعلم في هذا الاسم الكريم، وكذلك في مجموعة اللغات اللاتينية ، وفي مجموعة اللغات الجرمانية الاسم الكريم عندهم واحد مهما اختلفت لغاتهم في الكلمات الأخرى لا تختلف فيه " (١).

وهذا رأي قوي بأدلته السديدة، وبراهينه المقنعة التي جعلت من لفظ الجلالة صورة لفظية واحدة في جميع لغات العالم القديمة والحديثة.

لفظ الجلالة (الله) وأحدية الصورة الأدبية اللفظية :

بعد ما سبق من آراء ومعارك حول لفظ الجلالة، واشتقاقه أو ارتجاله وعدم اشتقاقه ، وكان لزاماً علي أن أشير إلى هذه الآراء قبل أن أسجل خواطري حول أحدية الصورة الأدبية للفظ الجلالة؛ اتباعاً لمناهج التحقيق والبحث العلمي الصحيح، وحتى يقف القارئ الكريم على الرأي، والرأي الآخر في القضية، وله أن يرجح (إن كان من أهل الترجيح) ما يراه راجحاً بأدلته وبراهينه القوية.

والحق أنني أختلف تماماً مع القائلين باشتقاق لفظ الجلالة وأنه

---

(١) ما وقع في القرآن بغير لغة العرب لأبي شكيب محمد بن عبد القادر الهلالي ٢٨/١ ، ط/ الثالثة : سنة ١٣٩٠هـ ـ الجامعة الإسلامية المدينة المنورة.

مأخوذ من (أله) أو (وله) أو (الاه) أو غيرها ، بل إن هذا الرأي ليقف كالشوكة في حلقومي، فلا أرتضيه من قريب ولا بعيد، وإن كنت أعلم أن أصحاب هذا الرأي من كبار علماء اللغة كسيبويه والزجاج وغيرهما من علماء المدرسة البصرية.

ولست أنتقص من قدر هؤلاء العلماء الأجلاء وخدمتهم للإسلام والعربية التي أفنوا سنين عمرهم في تأليف قواعدها حتى سيطرت على عقولهم، وظنوا أنها يمكن تطبيقها على أي شيء، وغاب عنهم قول الله عن ذات الله ــ جل وعلا ــ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ (١).

وأرى أن المشتق يؤخذ من شيء أكثر منه أصالة في المادة اللغوية، أو يماثله ويناظره فيها، ولفظ الجلالة أكبر من كل شيء، فلا شيء مثله، فكيف يشتق من غيره ؟؟؟

هذا بالإضافة إلى أن المشتق يشتق من شيء سابق له ومتقدم عليه، فهو كالفرع المتولد من الأصل، والله ــ جل وعلا ــ متقدم على كل شيء بوجوده الأزلي القديم، حيث كان الله ــ جل في علاه ــ ولا شيء معه، بل كان (جل وعلا) ولا شيء قبله كما أخبر رسول الله ﷺ في أحاديثه الصحيحة.

روى الإمام البخاري في صحيحه عن عمران بن حصين أخبر أن أهل اليمن قد سألوا رسول الله ﷺ عن أول شيء ، فقال ﷺ: " كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب

---

(١) آية رقم ١١ من سورة : الشورى.

في الذكر كل شيء " [1].

فهو الأول بلا بداية بذاته وصفاته وأفعاله، واسمه الأعظم فكيف يؤخذ من غيره؟

ومن هنا فقواعد اللغة تأبى أن يكون لفظ الجلالة مشتقاً من غيره وهو المتقدم على كل شيء، والخالق الموجد لكل شيء، ولو تمهل سيبويه في فهم هذه المسألة؛ لعلم أن شيخه الخليل بن أحمد كان أفقه منه فيها.

والذي يتأمل كلام الأدباء والنقاد حول قضية اللفظ والمعنى ومدى ارتباط اللفظ بالمعنى أو الشكل بالمضمون [2] يعلم أن لفظ الجلالة (الله) لم يشتق ولم يتولد من غيره.

فلفظ الجلالة علم على ذات الله العظيمة المقدسة، فيجب له كل كمال يليق بذاته المقدسة، ويستحيل عليه كل نقص، وهو الواحد فلا إله ، ولا رب، ولا معبود، ولا خالق غيره جل وعلا ، ولا رازق، ولا قادر، ولا مهيمن ... غيره جل في علاه.

ومعنى الأحد: أي الذي لم تتركب ذاته ــ جل وعلا ــ من أجزاء،

---

(١) صحيح البخاري بتحقيق : محمد زهير بن ناصر ١٢٤/٩ ، ط/ الأولى . دار طوق النجاة.

(٢) ينظر: عيار الشعر لابن طباطبا تحقيق/ عباس عبد الستار ص ١٢٦ ط/ الأولى ١٤٠٢هـ ــ بيروت ، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع العدواني ، تحقيق: د/ حفني شرف ص ١٩٤ ط / الجمهورية العربية المتحدة ــ إحياء التراث الإسلامي ، الأسلوب لأحمد الشايب ص ٧٥ ط/ الثانية عشرة : ٢٠٠٢م.

يقول أبو البقاء الكفوى : " ومعنى أحدية الله أنه أحدي الذات، أي لا تركيب فيه أصلاً" (١).

ولاشك أن اللفظ هو الصورة الأدبية الموضوعة للمعنى الذي يدل عليه، والمعنى هو الصورة الأدبية التي وضع بإزائها اللفظ، والصورة الحاصلة في الذهن عنه(٢).

ولفظ الجلالة علم على ذات الله الواحد الذي لا ثاني له، وهو الأحد الذي لم تتركب ذاته ــ جل وعلا ــ من أجزاء، وقد ناسب ذلك المعنى كون لفظ الجلالة واحداً أحداً في صورته اللغوية فلم يؤخذ لفظ الجلالة ــ جل وعلا ــ ولم يشتق من أي مادة لغوية أخرى، ومن ثم فأحدية اللفظ قد ناسبت أحدية الذات الإلهية التي لم تتركب من أجزاء، يقول الله تعالى عن ذاته العلية المقدسة : قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ(٣).

والآية واضحة في نفي الاشتقاق عن لفظ الجلالة، فهو ــ جل وعلا ــ أحدي اللفظ كما أنه أحدي الذات، فذاته ــ جل وعلا ــ لم تلد أحداً ليتفرع منها، ولم تولد من أحد لتتفرع منه، وكذا اسمه العظيم الأعظم (الله) لم يلد ألفاظاً أخرى لتتفرع منه أو تشتق عنه ولم يولد من ألفاظ أخرى

---

(١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء القريمي الكفوي ، تحقيق: عدنان درويش ٩٣٢/١، ط/ مؤسسة الرسالة ــ بيروت .

(٢) ينظر: مفهوم الإبداع الفني في النقد العربي القديم تأليف / مجدي توفيق ، ص : ٣٠١ ، ط/ ١٩٩٣م ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٣)سورة الإخلاص.

ليشتق عنها، فلا كفء ولا نظير له في كل الألفاظ بكل الألسنة واللغات.

ومع احترامي وتقديري للقائلين بعدم اشتقاق لفظ الجلالة، إلا أنني أرى أن هذا اللفظ الأعظم لا يصح وصفه بالجمود؛ تأدباً مع ذات الله العظيمة المقدسة؛ ومن ثم فخير ما يوصف به هو وصف القرآن الكريم له في قوله تعالى : قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١).

فهو ــ جل وعلا ــ أحدي اللفظ العظيم الأعظم الذي يناسب أحدية ذات الله العظيمة المقدسة والمنزهة عن التركيب والتشبيه بالخلائق، ومن ثم يكون التحليل الأدبي للفظ الجلالة قد ناسب العقيدة الصحيحة في أحدية ذات الله العظيمة المقدسة؛ فيا لدقة وجمال وروعة وكمال هذا اللفظ العظيم الأعظم!!!

وقد كان الصولي ــ رحمه الله ــ يكره ذكر ما قاله النحويون من اشتقاق لفظ الجلالة ، فيقول : " والله تبارك اسمه اسم خاص للمعبود (جلا وعلا) ... ولا يعرف لهذا الاسم اشتقاق من فعل، ولا أحب ذكر ما قاله النحويون فيه" (٢).

ويبدو أن ولعهم بقواعد النحو في الإعراب قد أنساهم أن الإعراب فرع المعنى، وأنه لابد من الائتلاف بين اللفظ والمعنى، أو الشكل والمضمون؛ ائتلافاً دقيقاً يكشف عن الأسرار الأدبية للفظ التي هي بمثابة الصورة الأدبية لمضمونه وفحواه .

---

(١) آية رقم : ١ من سورة : الإخلاص.

(٢) أدب الكاتب للصولي. تعليق وتصحيح : محمد بهجة الأثري . ص ٣٣ ، ط/ سنة ١٣٤١هـ ــ المطبعة السلفية ــ مصر.

لفظ الجلالة ووحدانية الصورة الأدبية

لاشك أن من أسماء الله ــ جل وعلا ــ الواحد ، أي الذي لا ثاني له في ذاته ، وصفاته، وأفعاله، كما أنه الأحد الذي لم تتركب ذاته ــ جل وعلا ــ من أجزاء، مما ناسب أحدية لفظ الجلالة الذي لم يشتق من غيره كما تقدم.

أما المراد بوحدانية الصورة الأدبية للفظ الجلالة هنا ، فهي صورة اسم لفظ الجلالة (الله) الذي لا يطلق إلا على ذات الله العظيمة المقدسة؛ مصداقاً لقول الله ــ تعالى ــ فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِياًّ[(١)].

يقول الثعلبي في تفسيره للفظ الجلالة : " (الله) : اسم موضوع لله تعالى لا يشركه فيه أحد، قال الله ــ تعالى ــ : هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِياًّ يعني أن كل اسم مشترك بينه وبين غيره له على الحقيقة ولغيره على المجاز إلا هذا الاسم فإنه مختص به؛ لأن فيه معنى الربوبية ، والمعاني كلها تحته " [(٢)].

وقد مزج ابن كثير بين أحدية اللفظ ووحدانية الصورة المعنوية للفظ الجلالة فاستدل بقوله تعالى : هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِياًّ على كون هذا الاسم جامداً غير مشتق[(٣)].

وإن كنت أنكر اشتقاق لفظ الجلالة من أي مادة لغوية أخرى، فهو غير مشتق ومع ذلك لا يوصف بالجمود؛ تأدباً مع هذا الاسم العظيم الأعظم الذي كان

---

(١) آية رقم : ٦٥ من سورة : مريم .

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق الثعلبي . تحقيق: أبي محمد بن عاشور ٩٦/١ ط/ الأولى : ١٤٢٢هـ ــ دار إحياء التراث العربي .

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، ١٢٤/١ ط/ الثانية سنة ١٤٢٠هـ ، ط/ دار طيبة.

قبل كل شيء، والذي هو أكبر من كل شيء حتى من قواعد كل لغات الدنيا والآخرة، ومن ثم فعلى العلماء تحري الحذر والخوف في التعامل مع ذات الله العلية المقدسة، أسأل الله السلامة والعافية وأستغفره وأتوب إليه من كل زلة وخطيئة.

ومن هنا أرى أن خير وصف لعدم اشتقاق لفظ الجلالة، وعدم تولده من غيره هو وصف النظم العالي لأدب القرآن الكريم وحديثه عن ذات الله العلية المقدسة في سورة الإخلاص ، فقال تعالى : قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ (١).

فلفظ الجلالة (الله) أحدي اللفظ الأعظم الذي لم تتولد صورته اللفظية من أي لفظ آخر ليشتق منه، ولا كفء ولا مثيل، ولا شبيه، ولا سمي له حتى يتولد ويشتق منه، ومن ثم ناسب وحدة الاسم الأعظم لوحدة ذات الله العلية المقدسة؛ مصداقاً لقوله تعالى : هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِياً (٢).

والاستفهام إنكاري، أي لا مماثل له في اسمه الأعظم (الله) فلا يسمى به غيره ــ جل وعلا ــ حتى إن المشركين لم يسموا أحداً من أصنامهم باسمه الله وإنما يقولون للواحد منها إله وجمعه آلهة (٣).

ولما كان لا مثيل ولا شبيه له ــ جل وعلا ــ في ذاته ، وصفاته وأفعاله، امتنع اسمه الأعظم (الله) من أن يسمى به غيره امتناعاً معجزاً إعجازاً عالياً، وهو إعجاز بالصرفة، حيث أعطاهم الله ــ تعالى ــ الحرية في التسمية بما شاءوا من أسماء ومنعهم من التسمية بلفظ الجلالة (الله) وتحداهم بذلك بعد

---

(١) سورة الإخلاص.

(٢) آية رقم : ٦٥ من سورة : مريم.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ١٤٣/٦ ، ط/ الدار التونسية.

أن صرفهم عن التسمية به، ليعلم الجميع أن الله هو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير.

ففرعون كفر بالله ، وقال: ما علمت لكم من إله غيره ، ولم يستطع أن يقول: أنا الله؛ ليظل لفظ الجلالة واحداً أحداً في لفظه، ومضمونه وصورته الأدبية التي لا تليق إلا بذات الله العلية المقدسة، وهو أعرف المعارف وأعظمها كما ذكر النحاة. (١)

ولاشك أن هذا مما يدل دلالة قوية على أن لفظ الجلالة (الله) هو اسم الله العظيم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى.

وقد اختلف النحاة في أعرف المعارف ، فقالوا: الضمير، وقال سيبويه : الله أعرف المعارف، ولعل الله ــ تعالى ــ بسبب هذا القول الرائع قد غفر له ما هفا به وقاله باشتقاق لفظ الجلالة، فقد رأى بعض المحققين سيبويه في منامه بعد موته، فقال له : ماذا صنع الله بك ؟ فقال: غفر لي ، قيل له : فبم ؟ قال: بقولي : الله أعرف المعارف. (٢)

---

(١) النحو الوافي . تأليف/ عباس حسن ٣٨/٣ ، ط/ الخامسة عشرة ، ط/ دار المعارف للكرماني ٩٤/١، ط/ دار القبلة ــ جدة .

(٢) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التنزيل ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي . تحقيق / أحمد الخراط ٢٤/١ ، ط/ دار القلم ــ دمشق ، معنى إله إلا الله لأبي عبد الله الزركشي ص ١٠٦ ، ط/ الثالثة ــ دار الاعتصام ــ القاهرة .

المبحث الثالث

الإيقاع الموسيقي للفظ الجلالة

وأثره في إثارة العواطف النبيلة

لاشك أن الإيقاع الموسيقي اللفظي يهب الكلام مظهراً من مظاهر العظمة والجلال، فتصل معانيه إلى القلب بمجرد سماعه ومن هنا تأتي فائدته في الصورة الأدبية(١).

والمراد به الموسيقى الطبعية الذاتية النابعة من ذات اللفظ، وأثره في المتلقي؛ تبعاً لما يعبر به من معان وأفكار(٢).

وبصورة أوضح أقول: إن المراد بالإيقاع الموسيقي اللفظي هو أثر وقع صوت اللفظ المنطوق على أذن السامع والمتلقي، وما يحدثه في نفسه بعد سماع هذا اللفظ .

وإذا كان الإيقاع الموسيقي للفظ يهب الكلام مظهراً من مظاهر العظمة والجلال كما ذكر الدكتور / إبراهيم أنيس، فكيف إذا كان اللفظ هو لفظ الجلالة والعظمة والكبرياء ؟؟؟؟

لاشك أن للفظ الجلالة (الله) أسراراً خاصة وإيقاعاً موسيقياً خاصاً به بعد نطقه ، والتلفظ به، ولا عجب فهو أجمل وأبهى وأروع وأرقى لفظ

---

(١) ينظر: موسيقى الشعر الدكتور / إبراهيم أنيس ص ١٦ ط/ السادسة ، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة.

(٢) ينظر: الإطار الموسيقي ملامحه وقضاياه للدكتور/ عبد العزيز نبوي ص ٣٤١ ، ط/ ط/ ١٩٨٧ ــ القاهرة.

تلفظت به الشفتان، ونطق به اللسان.

وللفظ الجلالة أثر واضح على القلب؛ حيث يطمئن القلب، ويطرب ، ويفرح بمجرد أن تتلفظ الشفتان بهذا اللفظ العظيم الأعظم ، وقد أكد القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى : أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ(١).

وهذا ما يسوقنا إلى الحديث عن العاطفة التي مقرها القلب، فهي تنبع منه، وهي التي تميز النص الأدبي عن غيره.

والعاطفة من حيث الطبيعة تعني : الغرائز الطبيعية المكنونة في قلب الإنسان، وقد عرفها النقاد بأنها : المشاعر والأحاسيس التي يثيرها النص الأدبي في القارئ أو المتلقي(٢).

وأرى بأننا وإن كنا لا نتعامل مع نص، بل نتعامل مع لفظ مفرد، لكنه لفظ جليل عظيم أعظم قادر على إثارة جميع العواطف والأحاسيس، والمشاعر القلبية السامية النبيلة، والتي لا تستطيع جميع النصوص الأدبية إيقاظها وإثارتها، ومن ثم فهو لفظ عظيم معجز.

ولا أدل على ذلك من طمأنينة القلوب بذكر لفظ الجلالة، كما نصت الآية السابقة، والطمأنينة تدل على اهتزاز القلب طرباً وفرحاً بذكر لفظ الجلالة، مما يثير عاطفة الفرح وانشراح القلب ، وزوال همومه، وآلامه، وأحزانه، والطمأنينة قمة الفرح، وقد أكدها القرآن الكريم بأداة التشبيه (ألا)ليؤكد صدق هذه العاطفة السامية النبيلة، وأثرها العجيب في فرج

---

(١) آية رقم : ٢٨ من سورة : الرعد.

(٢) ينظر: في أصول النقد الأدبي وقضاياه لأستاذنا أ.د/ زهران محمد جبر ، ص : ١٥٥ ، ط/ سنة ١٤٠٨هـ .

وانشراح القلوب وتزكيتها وتفريجها من الهموم والآلام والأحزان.

وفي حديث الإمام مسلم عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ أن النبي ﷺقال: : " سبق المفردون، قالوا: وما المفردون يا رسول الله ؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات " (١).

وفي رواية الحاكم قال رسول الله ﷺ: " سبق المفردون . قالوا: يا رسول الله وما المفردون ؟ قال: الذين يهترون في ذكر الله "(٢) .

وقال الأزهري في شرح الحديث أن المفردين هم المنقطعون عن الناس لذكر الله ــ عز وجل ــ فكأنهم أفردوا أنفسهم لذكره، وقيل هم الذين استولى عليهم الذكر فأفردهم عن كل شيء إلا عن الله ــ عز وجل ــ فهم يفردونه بالذكر ولا يضمون إليه سواه (٣).

وفسر ابن رجب الحنبلي الهتر في ذكر الله بإدمانه والولوع به حتى لا يكاد يفارق ذكره، وفسره ابن قتيبة بالسقط في الكلام من كثرة ذكر الله ، وحبه، وشغف النفس به(٤).

---

(١) صحيح مسلم . تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي ٢٠٦٢/٤ ، ط/ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري تحقيق/ مصطفى عبد القادر ٦٧٣/١ ، ط/ الأولى ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت .

(٣) ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين لأبي الفرج بن الجوزي ، تحقيق/ علي حسين البواب ٥٨٨/٣ ، ط/ دار الوطن ــ الرياض.

(٤) ينظر: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لزين الدين بن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٥١٢/٢ ط/ السابعة سنة ١٤٢٢هـ ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت .

وأرى بأن المراد بالمفردين هم الذين يذكرون الله كثيراً كما ورد في الحديث، ولكنهم يذكرونه بلفظ الجلالة مفرداً فيقولون: الله الله باسمه الأعظم، حتى أولعوا بذكره وغابت عقولهم عن كل ما سواه إليه، وصاروا لا يبالون بما يقال فيهم.

هذا ولا شك أن قراءة القرآن والحديث وعلومهما تصب في القلب ذكر الله، وكذا الصلاة، والتهليل، والتكبير، والتسبيح، والتحميد والتمجيد، وإن أكثر هؤلاء من ذكر لفظ الجلالة مفرداً مكرراً الله الله؛ حتى سبقوا غيرهم بهذا الذكر العظيم ؛ فتعلقت قلوبهم وعقولهم به ، لما رأوا فيه من فرح القلوب، وانشراح الصدور.

ولهذا الذكر المفرد بلفظ الجلالة مكرراً أصل وارد في السنة النبوية غير الحديث السابق بطرق متعددة، منها ما رواه الإمام النسائي عن ثوبان قال: " كان رسول الله ﷺ إذا راعه شيء قال: الله الله ربي لا شريك له"(١).

وراعه أي: أفزعه ؛ مما يدل على أثر لفظ الجلالة في علاج عاطفة الخوف والفزع، فهو يطفئ نار الخوف والفزع ولا يزال بالقلب حتى يوقظ فيه روح الطمأنينة والفرح.

ولا شيء يصلح القلب مثل ذكر لفظ الجلالة (الله) ولذا قال رسول

---

(١) عمل اليوم والليلة لأبي عبد الرحمن النسائي . تحقيق: د/ فاروق حمادة ، ص : ٤١٦ ، ط/ الثانية : سنة ١٤٠٦هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

الله ﷺ: " مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت " [١].

وهذا يدل على أثر ذكر لفظ الجلالة (الله) في إحياء القلب وقوة الإيمان، وإمداد النفس بالراحة، والسكينة، والاطمئنان حتى يفجر فيها عاطفة الفرح والسعادة الحقيقية الدنيوية والأخروية[٢].

ولاشك أن هذا مما يثير عاطفة الحب لذكر الله ــ جل وعلا ــ حيث تألفه النفس، ويطمئن له القلب، وتطرب لسماعه الروح، مما يدل على الأسرار العجيبة للفظ الجلالة القادرة على شفاء وتطهير القلوب والأرواح من أدوائها ، وإحيائها بعد مماتها، وتفريج همومها ، وغمومها، وكروبها.

وإثارة عاطفة السامع أو المتلقي لا يعد أمراً سهلاً، فالمتلقي قد يتلقى النص الأدبي بالقراءة أو السماع ويطيل فيه دون أن يثير عاطفته وأحاسيسه إلا في آخر عباراته، بل ربما كان النص فاتراً لا يثير أي عاطفة مع طول عباراته وكثرة ألفاظه وكلماته.

وقد يستعين الأديب بمن يغني النص ويلحنه بالآلات الموسيقية الصناعية؛ حتى يؤثر هذا النص في عاطفة ومشاعر المتلقي.

وأعجب كل العجب من لفظ واحد كيف يثير عاطفة المتلقي بموسيقاه اللفظية الطبيعية ودون الاستعانة بالآلات الموسيقية الصناعية؟

إنه لفظ الجلالة (الله) الذي تهتز له القلوب، وتتراقص له الأرواح

---

(١) مختصر صحيح البخاري لأبي عبد الرحمن الألباني ١٣٤/٤ ، ط/ الأولى سنة ١٤٢٢هـ ــ مكتبة المعارف ــ الرياض.

(٢) ينظر: صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال للقاضي حسين المهدي ١٦٩/١ ، ط/ وزارة الثقافة اليمنية .

طرباً وفرحاً لسماعه بطريقة معجزة، فيثير عاطفة الحب والبهجة والفرح، وهي أرقى وأسمى العواطف النبيلة؛ ؛إنها عاطفة الحب الإلهي النابعة من كثرة ذكر الله تعالى باسمه الأعظم.

وذكر لفظ الجلالة (الله) يثير أيضاً عاطفة الخوف والوجل من الله تعالى مصداقاً لقوله ــ جل وعلا ــ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ...[١] .

فالقلب يرق من هيبة لفظ الجلالة ؛ خوفاً من غضبه وعذابه، فإذا ذكر رجاءه ورحمته سكن وارتاح، واطمأن وفرح. [٢]

ولا عجب فلفظ الجلالة عام، ويحوي في مضمونه لأسرار صفات العظمة والجلال، كما يحوي لصفات الربوبية، والرحمة والجمال، فإذا استحضر العبد صفات الهيبة والعظمة والجلال اقشعر جسده، ووجل قلبه من ذكر الله، فإذا تاب وأناب واستحضر غفران الله ورحمته وإحسانه لان قلب المؤمن واطمأن وطرب لرحمة ربه؛ مصداقاً لقوله تعالى: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَا [٣].

وهكذا يعيش المؤمن متقلب القلب بين عاطفتي الخوف والرجاء؛

---

(١) آية رقم : ٢ من سورة : الأنفال.

(٢) ينظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لشهاب الدين المقري التلمساني ٣٢٢/٥ ، تحقيق/ إحسان عباس ، ط/ الأولى سنة ١٩٦٨ ــ دار صادر ــ بيروت

(٣) آية : ٢٣ من سورة : الزمر.

مما يثير مشاعر الطمأنينة والفرح بعد أحاسيس الحزن والوجل، مما يدل على أثر لفظ الجلالة في إيقاظ العواطف المتضادة في قلب واحد بلفظ واحد أحد بطريقة عجيبة لا تقدر على مثلها نصوص الأدباء وإن تعددت ألفاظها، وكثرت أساليبها، مما يدل على الأسرار العظيمة المكنونة في لفظ الجلالة، والتي تفوق أسرار جميع ألفاظ اللغات الإنسانية جمعاء.

هذا ولم يقتصر أثر لفظ الجلالة في إيقاظ العواطف النبيلة على ما سبق فقط ، فكما أن ذكر الله يحرك عاطفة الخوف والوجل، أو الطمأنينة والفرح، فكذا العواطف النبيلة ، والغرائز الإنسانية تحرك قلوب المؤمنين لأن تلهج بقوة نحو التلفظ بلفظ الجلالة عند إثارتها فتقول عند مشاعر الخوف والرهبة والفزع : يا الله!!

وكذا عواطف الخير والجمال التي تبعث قلوب المؤمنين وتحرك ألسنتهم نحو التلفظ بلفظ الجلالة (الله) بفطرتها الإنسانية فحينما تسمع الأذن صوتا حسناً يروقها تسارع النفس بالتلفظ بلفظ الجلالة وتقول: الله!!!

وحينما يتذوق الفم لذة طعام أو شراب قد فاق وصفه المعتاد، تسارع النفس أيضاً بالتلفظ بلفظ الجلالة دون تفكير، فتقول: الله !!!

وأيضاً حينما ترى العين مشهداً رائعاً، أو حدثاً يسرها كإحراز هدف مثلاً: تسارع النفس بالتلفظ بلفظ الجلالة وتقول بأعلى صوتها: الله!!

وكذا الأنف حينما يشم رائحة زكية، فيسارع الإنسان نحو التلفظ بلفظ الجلالة ويقول: الله !!!

بخلاف من يشم رائحة كريهة، فيسارع بألفاظ التأفف والتضجر، مما يدل على العلاقة الوطيدة بين لفظ الجلالة (الله) وبين سائر العواطف الإنسانية النبيلة، فهو يحرك قلوب المؤمنين نحوها، كما أنها تحرك قلوب

المؤمنين نحو ذكره والتلفظ به عند إثارة هذه العواطف الإنسانية.

وأيضاً عند إثارة عواطف الحق، والعدل، تفرح النفس الإنسانية بقضاء ربها، وتهتف بأعلى صوتها بلفظ الجلالة وتقول : الله !! أو تقول : الله أكبر !!!

وكل هذه العواطف النبيلة ترتبط بعاطفة الحب السامي المتبادل بين الله تعالى وعباده المؤمنين ، والذي دل عليه قول الله ــ تعالى ــ : يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ (١) وقوله ــ تعالى ــ : إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٢) .

وعاطفة الحب هي التي دعت إلى كثرة ذكر الله والتلفظ به، لأن من أحب شيئاً أكثر من ذكره ، فكيف بمن أحب الله ؟ لاشك أنه سيكثر من ذكره في سره وعلانيته.

وفي حديث أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه ــ عز وجل ــ أنه قال : " من ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ من الناس ذكرته في ملأ أكثر منهم وأطيب".(٣)

ولا يزال العبد المؤمن يتبادل الحب والذكر بينه وبين الله فيذكر الله، ويذكره الله ــ تعالى ــ ويصطفيه لولايته، فيصير ولي الله، ويضاف إلى لفظ الجلالة إضافة عبودية وشرف؛ حتى تبدو أسرار لفظ الجلالة في هذا الولي الصالح، فيخطف قلب المتلقي بمجرد أن يراه، فيثير عاطفته نحو ذكر

---

(١) آية رقم : ٥٤ من سورة : المائدة.

(٢) آية رقم : ٩٦ من سورة : مريم .

(٣) مسند الإمام أحمد ٢٩١/١٤ ط/ الأولى : ١٤٢١هـ مؤسسة الرسالة .

الله؛ مصداقاً لقول رسول الله ﷺ : " ألا أخبركم بخياركم ؟ قالوا: بلى . قال: الذين إذا رؤوا ذكر الله " . (١)

وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رجل : يا رسول الله، من أولياء الله ؟ قال: الذين إذا رؤوا ذكر الله " . (٢)

وهنا يبدو سر عظمة لفظ الجلالة ؛ حيث لا يقتصر على إثارة عاطفة الذاكر لله فقط ؛ بل يتجاوزه إلى من يراه ، فيحرك ويوقظ عاطفته ومشاعره نحو ذكر الله بمجرد أن يرى أولياء الله.

هذا وللفظ الجلالة أسرار خاصة لدى المكثرين من ذكره، العارفين بجلاله وعظمته، فهو الذي يفرج همومهم، ويجلو سواد قلوبهم، ويطير بعقولهم وأرواحهم إلى روضات الجنات ليتمتعوا بنعيم الذكر وحلاوته، حيث ترتع القلوب، وتتغذي الأرواح بنعيم ذكر الله العظيم الفتاح.

روى الإمام أحمد والترمذي عن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال : " إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قالوا : وما رياض الجنة؟ قال : حلق الذكر " .(٣)

---

(١) الأدب المفرد للإمام البخاري . تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي ص : ١١٩ ، ط/ الثالثة : سنة ١٤٠٩هـ ــ دار البشائر الإسلامية ــ بيروت .

(٢) مسند البزار . تحقيق/ محفوظ الرحمن زين الله ٢٥١/١١ ، ط/ الأولى ــ مكتبة العلوم والحكم ــ المدينة المنورة.

(٣) مسند الإمام أحمد ٤٩٨/١٩ ، سنن الترمذي . تحقيق : أحمد محمد شاكر ٥٣٢/٥، ط/ الثانية : ١٣٩٥هـ ــ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ــ مصر .

ولا يدري بحلاوة ذكر الله ونعيمه إلا من ذاق شرابه، ورتع من روضات حلقه وحضراته، حتى صار من العارفين بالله رب العالمين، وقد تفيض عيون المؤمنين بالدمع الغزير؛ ليبقى شاهداً ودليلاً على عاطفة الحب الزكية التي تربطهم بالله رب العالمين، فيبكون شكراً للهداية، وفرحاً بالإيمان بالله، وشوقاً إلى لقائه، مصداقاً لقوله ــ تعالى ــ : وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (١).

ولا شيء في هذه الدنيا ألذ وأمتع من ذكر النفس لله ، وبكاء العين؛ خشية ، وحباً، وشوقاً إلى لقائه؛ وشكراً لجزيل نعمائه؛ لاسيما عند خلوتها بربها، ففي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، يقول النبي ﷺ : " ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه " (٢) .

وبكاء العين مع ذكر الله دليل على نقاء القلب، وصدق العاطفة، وسموها وطهارتها؛ حتى استحق صاحبها أن يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

ومثل هذه العين قد حرمها الله ــ تعالى ــ على النار وحرم النار عليها؛ مصداقاً لقول النبي ﷺ " عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله " (٣) .

وأي عاطفة أسمى من عاطفة الحب الإلهي التي تنتهي بالبكاء

---

(١) آية رقم : ٨٣ من سورة : المائدة .

(٢) صحيح البخاري . تحقيق/ محمد زهير ١٣٣/١ ، ط/ الأولى ــ دار طوق النجاة .

(٣) سنن الترمذي . تحقيق/ أحمد محمد شاكر ١٧٥/٤ ، ط/ الثانية : سنة ١٣٩٥هـ .

خشية لله، وحباً وشوقاً إلى الله، وشكراً لنعم الله ؟؟؟

ولاشك أن هذا يعد من أسرار لفظ الجلالة وأثره في إحياء العواطف النبيلة في قلوب الذاكرين الله كثيراً والذاكرات ، وأثر هذه العواطف السامية في قلب المتلقي؛ حتى يكتب له الهداية، والرشاد والله أعلم.

المبحث الرابع

الصـورة الكليـة للفظ الجلالـة ومتعلقاتها

من الأدلة الواضحة على أن لفظ الجلالة هو اسم الله العظيم الأعظم أنك تراه هو الملك لكل أسماء الله الحسنى وصفاته العليا؛ مصداقاً لقول الله تعالى : وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا . (١).

وجميع الأسماء والصفات تابعة له ــ جل وعلا ــ ولذا نسبها إليه فقال : وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى ولم يقل : وللرب الأسماء الحسنى، ولا : وللإله الأسماء الحسنى؛ لأن الرب قد يطلق على غير الله مجازاً كرب المنزل، بدليل قوله تعالى : وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ(٢) .

وكذا الإله قد يطلق على غير الله من الآلهة الباطلة؛ بدليل قوله تعالى :أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى(٣) يعني باطلة.

بخلاف لفظ الجلالة الذي لا يسمى به غير الله، فهو الجدير بنسبة جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا إليه بأحدية لفظه، ووحدانية صورته الأدبية كما تقدم.

فهو الملك المهيمن على كل الأسماء والصفات، وقد أكد ذلك رسول الله ﷺ في حديثه الشريف الذي يقول فيه : " إن لله تسعة وتسعين اسماً من

---

(١) آية رقم : ١٨٠ من سورة : الأعراف.

(٢) آية رقم : ٤٢ من سورة : يوسف.

(٣) آية رقم : ١٩ من سورة : الأنعام .

أحصاها دخل الجنة " . [١]

حيث نسب كل الأسماء الحسنى إلى الله ؛ ليدل على أنه الملك المتصرف فيها ، وهي متعلقة به ــ جل وعلا ــ تعلق الصفة بالموصوف، ومن ثم فهو ــ جل وعلا ــ يوصف ولا يوصف به ؛ ولذا تراه ــ جل وعلا ــ يتقدم على جميع الأسماء الحسنى في كثير من آيات القرآن الكريم، كما في قوله ــ تعالى ــ : تَنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ العَلِيمِ [٢].

فقد وصف لفظ الجلالة بأنه العزيز العليم في مفتتح سورة غافر، وفي أول الزمر يقول الله ــ تعالى ــ : تَنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ [٣] حيث وصف لفظ الجلالة بأنه العزيز الحكيم.

ومن المعروف أن العزيز، العليم، الحكيم، كلها من أسماء الله الحسنى، وقد تقدمها لفظ الجلالة؛ لأنه علم على ذات الله العلية المقدسة، ثم تبعته هذه الأسماء الحسنى؛ لأنها كالصفات له، فصفة الله أنه العزيز، وأنه العليم، وأنه الحكيم وهكذا.

والأصل في الموصوف أن يوصف بصفة واحدة كأن تقول : جاء زيد الضعيف، وقد يوصف بصفتين كأن تقول: أقبل زيد الفقير المسكين.

اما لفظ الجلالة فتراه موصوفاً بصفات كثيرة متعددة لا مثيل لها، بطريقة عجيبة معجزة، كما في آخر سورة الحشر يقول الحق ــ تبارك وتعالى ــ عن ذاته العلية المقدسة : هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ

---

(١) مسند الإمام أحمد . تحقيق/ أحمد محمد شاكر ٢٩٤/٧ ، ط/ الأولى ــ دار الحديث.
(٢) آية رقم : ٢ من سورة غافر.
(٣) آية رقم : ١ من سورة : الزمر.

وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلاَمُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ (١) .

فصفته ــ جل وعلا ــ أنه إله واحد أحد لا إله إلا هو، وأنه عالم الغيب والشهادة، وأنه الرحمن، وأنه الرحيم، وأنه الملك، وأنه القدوس، وأنه السلام، وأنه المؤمن، وأنه المهيمن ، وأنه العزيز، وأنه الجبار، وأنه المتكبر، وأنه المنزه عن الشرك، وأنه الخالق، وأنه البارئ ، وأنه المصور، وأنه الملك لكل الأسماء الحسنى، وأنه يسبح له ما في السموات والأرض، وأنه هو العزيز الحكيم.

فجميع الآيات تبدأ بضمير الشأن (هو) الذي يعود على لفظ الجلالة، ويخبر عنه بلفظ الجلالة الذي هو علم على ذات الله العلية المقدسة، ثم تأتي الأسماء الحسنى بعده على أنها صفات له وهو وحده ــ جل وعلا ــ الموصوف بها، ثم تتوالى هذه الصفات بكثرة وتتعدد بطريقة عجيبة؛ لتدور حول موصوف واحد هو لفظ الجلالة؛ أفلا يدل ذلك على أنه اسم الله العظيم الأعظم؟

وأرى هذا الأمر واضحاً جلياً في أعظم آية في القرآن الكريم ألا وهي آية الكرسي التي يقول فيها الحق ــ تبارك وتعالى ــ : اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ

---

(١) الآيات : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ من سورة : الحشر.

بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ (١) .

وهذه الآية العظيمة قد وصفت لفظ الجلالة بخمس عشرة صفة متوالية بلا فواصل بينها؛ حيث وصفته بأنه لا إله إلا هو، وأنه الحي، وأنه القيوم، وأنه لا تأخذه سنة ، ولا يأخذه نوم ، وأنه له ما في السموات، وله ما في الأرض، ولا شفاعة لأحد عنده إلا بإذنه، وأنه يعلم ما بين أيديهم، ويعلم ما خلفهم ، ولا إحاطة لأحد بشيء من علمه إلا بما شاء، وأنه وسع كرسيه السموات، ووسع كرسيه الأرض، ولا يئوده حفظهما ، وأنه هو العلي العظيم.

وأرى ــ بكل جلاء ووضوح ــ أن تذييل آية الكرسي يدل على أن لفظ الجلالة هو اسم الله العظيم الأعظم؛ حيث بدأت الآية العظيمة بلفظ الجلالة (الله) وانتهت بقوله تعالى : وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيم.(٢)

واسم الله العظيم إذا وصف باسم الله العلي؛ صار العلي في معنى الأعظم، فيكون معنى وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ أي: وهو العظيم الأعظم.. ولا عجب فالعظيم إذا علا في عظمته فهو أعظم.

وتذييل الآية يرجع إلى لفظ الجلالة الذي بدأت به آية الكرسي ووصفته بخمس عشرة صفة أخرى أنه العلي العظيم بمعنى الأعظم؛ لتصرح الآية الكريمة تصريحاً لاشك فيه عندي بأن لفظ الجلالة هو اسم الله الأعظم، ومن ثم كانت آية الكرسي هي أعظم آية في القرآن الكريم ، فقد

---

(١) آية رقم : ٢٥٥ من سورة : البقرة.

(٢) آية : ٢٥٥ من سورة : البقرة.

روى الإمام مسلم عن أبي بن كعب ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال له : أتدري أيَّ آيةٍ في كتابِ اللَّهِ معكَ أعظَمَ ؟ قال : اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ فضرب بيدِهِ في صدرِهِ وقال : لِيَهنِكَ العِلمَ أبا المِنذِرِ"[1] .

ولاشك أن وصف لفظ الجلالة بخمس عشرة صفة في آية واحدة، بالإضافة إلى وصفه ــ جل وعلا ــ بكثير من أسمائه الحسنى وصفاته العليا بأسلوب معجز؛ مما يدل على أن لفظ الجلالة هو الصورة الكلية الأحدية لاسم الله الأعظم، وأن جميع الأسماء والصفات تابعة له ــ جل وعلا ــ وتتعلق به تعلق الصفات بموصوفها الأعظم؛ وهذا يدل على الكمالات المقدسة لهذه الصورة الكلية التي لا تتجزأ ولا تحيط بها العقول والأفهام، والتي لا تليق إلا بذات الله ــ تعالى ــ العظيمة المقدسة .

هذا ولا تقتصر الصورة الكلية للفظ الجلالة على تعلق الأسماء الحسنى والصفات العليا به ، بل إنك لترى جميع النسك ، والطاعات، والعبادات متعلقة بلفظ الجلالة بصورته الكلية العظمى، ولا أدل على ذلك من قول الله ــ تعالى ــ مخاطباً نبيه ﷺ : قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ [2]

وترى الأذكار مع اختلاف صيغها تتعلق بلفظ الجلالة، ففي التهليل تقول : " لا إله إلا الله بإثبات التوحيد الخالص لله رب العالمين، وفي التكبير تقول : الله أكبر، وفي التسبيح تقول: سبحان الله !!!

وقد نسب القرآن الكريم التسبيح لله رب العالمين في كثير من أوائل

---

(١) صحيح مسلم حديث رقم (٨١٠) .

(٢) آية رقم : ١٦٢ من سورة الأنعام .

السور الكريمة، كما في قوله ــ تعالى ــ سَبَّحَ لِلَّــهِ مَــا فِــي السَّــمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ (١) .

وقوله تعالى : يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِــي الأَرْضِ المَلِــكِ القُدُّوسِ العَزِيزِ الحَكِيمِ (٢) .

وفي قلب سورة النور يقول الله ــ تعالى ــ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَــبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْــبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣) .

وأيضاً نسبة الحول والقوة إلى الله لا غير، فتقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وقد ورد من ذلك في القرآن الكريم قول الله ــ جل وعلا ــ: وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ (٤) .

وترى النعم كلها منسوبة إلى لفظ الجلالة كما في قولــه تعــالى : وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا (٥) .

كما ترى شكر هذه النعم وحمدها منسوباً إلى لفظ الجلالة، فتقــول: الحمد لله، وهي الصيغة التي بدأت بها كثير من سور القرآن الكريم ، مثل: قوله تعالى : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ (٦) ، وقول الله تعالى : الْحَمْــدُ لِلَّــهِ

---

(١) آية رقم : ١ من سورة : الحديد.
(٢) آية رقم : ١ من سورة الجمعة.
(٣) آية قم : ٤١ من سورة : النور.
(٤) آية رقم : ٣٩ من سورة : الكهف.
(٥) آية رقم : ١٨ من سورة : النحل.
(٦) أول سورة الفاتحة .

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ.(١)

هذا بالإضافة إلى أن صيغة القسم لا تكون إلا بالله؛ مصداقاً لقول النبي ﷺ " من كان حالفاً فليحلف بالله " . (٢)

ولذا ترى واو القسم تتجه مباشرة إلى لفظ الجلالة، فتقول" والله لأفعلن كذا " ، مما يدل على عظم لفظ الجلالة ، وأنه اسم الله العظيم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى.

وقد ترى في صيغة القسم لفظ الجلالة موصوفاً باسم الله العظيم، فتقول ــ على سبيل المثال ــ : " والله العظيم لأفعلن كذا " .

ومن المعروف أن القسم لا يكون إلا بالشيء العظيم، فكيف به إذا كان بلفظ الجلالة بمعنى العظمة؟ وكيف بلفظ الجلالة الله وهو موصوف باسم العظيم وقبله واو القسم ؟ أفلا يدل كل ذلك على أن لفظ الجلالة هو اسم الله العظيم الأعظم.

---

(١) أول الأنعام .

(٢) مسند الإمام أحمد ٣٢٧/٨.

المبحث الخامس

الصورة الأدبية للفظ الجلالة

ودفع إيهام التشبيه والتمثيل

لاشك أن الله ــ تعالى ــ يجب له كل كمال يليق بذاته العليا المقدسة، ويستحيل عليه كل نقص كأن يتشبه بالحوادث أو المخلوقات التي خلقها بصفات كماله، وإذا ورد ما يوهم ذلك وجب دفعه بما يليق بكمالات ذات الله العلية المقدسة، لأن الله ــ تعالى ــ لا يساويه ولا يشبهه ولا يماثله شيء، بدليل قوله تعالى : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ(١).

وقد ورد ما يوهم التشبيه والتمثيل كما في قول الله تعالى في سورة النور : اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢).

على القول بأن الضمير يعود إلى الله ــ تعالى ــ في قوله : اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ .

قال ابن القيم : " إضافة النور إلى الله ــ تعالى ــ على أحد وجهين: إضافة صفة إلى موصوفها، وإضافة مفعول إلى فاعله .

---

(١) آية رقم : ١١ من سورة الشورى.

(٢) آية رقم : ٣٥ من سورة : النور.

فالأول كقوله ــ عز وجل ــ : وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا [1] فهذا يكون يوم القيامة، تشرق بنوره ــ تعالى ــ إذا جاء لفصل القضاء بين عباده ، ومعناه كما أخبر الله ــ تعالى ــ أن الأرض تشرق يوم القيامة بنوره.

الوجه الثاني: ما ذكر في قوله تعالى : مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ [2] وقد اختلف على من يعود الضمير في (نوره) فقيل: على النبي ﷺ، وقيل: على المؤمن، والصحيح عوده على الله ــ تعالى ــ ؛ لأن لفظ الجلالة هو المذكور صراحة قبله. [3]

يقول العلامة الزمخشري في تفسيره : وأضاف النور إلى السموات والأرض لأحد معنيين : إما للدلالة على سعة إشراقه وفشوا إضاءته حتى تضيء له السموات والأرض، وإما أن يراد أهل السموات والأرض وأنهم يستضيئون به، مثل نوره : أي صفة نوره العجيبة الشأن في الإضاءة كمشكاة : كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب في زجاجة أراد قنديلا من زجاج شامي أزهر، شبهه في زهرته بأحد الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري والزهرة ونحوها، يوقد هذا المصباح أي : زويت ذبالته من زيت شجرة الزيتون المباركة الكثيرة المنافع، والتي هي لا شرقية ولا غربية، أي منبتها الشام ،

---

(١) آية ٦٩ من سورة الزمر .

(٢) آية ٣٥ من سورة النور.

(٣) ينظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لعبد الله بن محمد الغنيمان ١/١٧٤ ، ١٧٥ ، ط/ الأولى سنة ١٤٠٥هـ ــ مكتبة الدار ــ المدينة المنورة.

وأجود الزيتون زيتون الشام، ثم وصف الزيت بالصفاء وأنه لتلألؤه يكاد يضيء من غير نار ، نور على نور أي هذا الذي شبه به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة، والمصباح والزيت، حتى لم يبق شيء مما يقوي النور ويزيده إشراقاً وإضاءة إلا وقد ناصر هذا التشبيه، يهدي الله لهذا النور الثاقب من يشاء من عباده ، ويوفقه لإصابة الحق.(١)

" وإذا وقع شعاع المصباح على جوهر الزجاجة صار الزجاج والمصباح مصباحاً واحداً، ورد الضياء كل منهما على صاحبه، واعتبروا ذلك بالشعاع الذي يسقط في وجه المرآة على وجه الماء وعلى الزجاج ، ثم انظروا كيف يتضاعف نوره، وإن كان سقوطه على عين إنسان أعشاه وربما أعماه، قال الله تعالى اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ (٢) فللزيت في الزجاجة نور على نور، وضوء متضاعف "(٣).

وذكر الراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء أن الله ــ جل وعلا ــ قد ضرب مثلاً لنوره العالي بالآية السابقة. (٤)

وقد أول ابن الأثير هذا المثل بقلب النبي ﷺ وما ألقى فيه من النور، فقال: " أما تمثيل نور الله ــ تعالى ــ بمشكاة فيها مصباح؛ فإن هذا

---

(١) ينظر: الكشاف لأبي القاسم جار الله الزمخشري ٢٤١/٣ ط/ الثالثة ، ط/ سنة ١٤٠٧هـ ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت.

(٢) آية رقم : ٣٥ من سورة النور.

(٣) مجمع الأمثال للميداني ٣٥١/٢ ، ط/ دار المعرفة ــ بيروت ــ لبنان .

(٤) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني ٢٩٠/٢ ، ط/ الأولى سنة ١٤٢٠هـ ــ دار الأرقم ــ بيروت .

مثال ضربه للنبي ﷺ ويدل عليه أنه قال يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ وإذا نظرت إلى هذا الموضع وجدته تشبيها لطيفاً عجيباً، وذاك أن قلب النبي ﷺ وما ألقي فيه من النور، وما هو عليه من الصفة الشفافة، كالزجاجة التي كأنها كوكب لصفائها وإضاءتها ، وأما الشجرة المباركة فإنها عبارة عن ذات النبي ﷺ لأنه من أرض الحجاز التي لا تميل إلى الشرق ولا إلى الغرب، وأما زيت هذه الزجاجة ؛ فإنه مضيء من غير أن تمسه نار، والمراد أن فطرته فطرة صافية من الأكدار؛ منيرة من قبل مصافحة الأنوار ". (١)

وعلى هذا فالمراد بنور الله هو النور الذي ألقاه الله في قلب رسول الله ﷺ بالصفة التي وضحها ابن الأثير في نصه السابق ، ولا عجب فهو ﷺ نور كما قال عنه القرآن الكريم في قوله تعالى : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً(٢) .

أما العلامة العلوي، فقد عدَّ الآية السابقة من تشبيه المفرد بالمركب، حيث شبه النور المفرد بالمشكاة المركبة من هذه الأجزاء والأوصاف، وذكر أنها كلها أشباه لنور الله؛ إما على أن المراد به ذات الله ــ تعالى ــ أو يراد به الرسول ﷺ، ومن ثم يكون قد أشار إلى الرأيين على الحقيقة أو التأويل.(٣)

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير تحقيق : أحمد الحوفي، بدوي طبانة ١٠١/٢ ، ط/ دار نهضة مصر ــ الفجالة ــ القاهرة .

(٢) آية رقم : ٤٥ ، ٤٦ من سورة الأحزاب.

(٣) ينظر: الطراز ليحيى بن حمزة العلوي ١٥١/١ ، ١٨٥/٣ ، ط/ الأولى سنة ١٤٢٣هـ ــ المكتبة العنصرية ــ بيروت ــ لبنان .

تعقيب:

من خلال ما سبق يتضح أن وصف لفظ الجلالة بأنه نور السموات والأرض أمر لا غبار عليه؛ لأن من أسمائه ــ جل وعلا ــ النور؛ لكن تشبيه هذا النور المفرد بالمشكاة المركبة من الأجزاء، والأوصاف السابقة هو ما اختلف في ماهيته علماء العقيدة، والتفسير والحديث، واللغة والبلاغة، والأدب والنقد على نحو ما ذكرت آنفاً؛ دفعاً لإيهام مشابهة ومضاهاة، ومساواة نور ذات الله ــ تعالى ــ بنور المشكاة المركبة من الأوصاف السابقة لأن الله ــ تعالى ــ لا يشابهه ولا يساويه شيء، كما أخبر القرآن الكريم عنه في قوله ــ تعالى ــ : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ [(١)] .

ولذا أول بعضهم هذا النور بأنه النور الذي ألقاه الله ــ تعالى ــ في قلب رسول الله ﷺ أو النور الذي ألقاه الله ــ تعالى ــ في قلب كل مؤمن؛ ومن ثم يمكن دفع شبهة المماثلة بين الخالق والمخلوق.

أما ما ذكره ابن القيم ، والعلوي، والراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء وغيرهم من أن المراد بالنور نور الله ــ تعالى ــ الذي يتعلق بذاته العلية المقدسة، فهذا لا يتعارض مع قول الله ــ جل وعلا ــ : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ [(٢)] ؛ لأن المثلية تقتضي المشابهة، والمساواة، والمضاهاة، ونور الله ــ تعالى ــ لا يساويه ولا يماثله شيء، وأن آية النور لم يأت التشبيه التمثيلي فيها إلا لضرب المثل فقط ؛ بدليل أن

---

(١) آية رقم ١١ من سورة : الشورى.

(٢) آية رقم ١١ من سورة : الشورى.

الله ــ تعالى ــ يقول في آخرها وَيَضْـرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُـلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١) .

وهناك فرق بين المثل ــ بفتح الميم والثاء ــ وبين المثل ــ بكسر الميم وسكون الثاء ــ فمثل الشيء ــ بسكون الثاء ــ شبهه الذي يضاهيه ويساويه، وقد تعالى الله عن مضاهاته لخلقه علواً كبيراً.

أما المثل ــ بفتح الميم والثاء ــ فلا مجال فيه للمشـابهة بمعنـى المضاهاة والمساواة ، بل هو مضروب لإيضاح الصورة الغيبية التي لا مثيل لها والتي لا تدركها الأبصار، وإيرادها في معرض صـورة أدبيـة تألفهـا النفس وقد بلغت في مضمونها أقصى الكمال والجمال الذي يمكن أن يدركه البشر، وقد تكونت هذه الصورة من عدة أوصاف نموذجية هي المشـكاة، والزجاجة، والمصباح، والزيت وقد اتحدت فيما بينهـا، وناصـر بعضـها بعضاً، لتؤدي إلى وحدة نورانية لؤلؤية مشرقة بطريقة عجيبة لا نظير لها في عالم الخلائق، فالمشكاة معروفة، وكذا المصباح، والزجاجـة، والزيـت ولكن ائتلاف هذه الأشياء في صورة أدبية نورانية بهية هو الذي لا نظيـر له في عالم الخلائق ؛ حيث تنعكس أشعة المصباح على جـوهر الزجاجـة داخل المشكاة أو الكوة اللؤلؤية ، كما تنعكس أشعة الزجاجة على المصباح، ويرد كل منهما ضوءه على مصباحه، فيظهران وكأنهما كوكـب نـوراني مشرق، يوقد من شجرة الزيتون المباركة التي يكاد زيتها يضـيء دون أن تمسه نار، فيتوالى النور، ويزداد ضوءه وإشراقه، وتتكثف أشعته في وحدة نورانية قوية، فنية متآلفة.

---

(١) آية رقم : ٣٥ من سورة : النور.

وقد ضرب الله ــ تعالى ــ بهذه الوحدة النورانية القوية المتآلفة مثلاً عظيماً لنوره العظيم الأعظم لا على سبيل المشابهة التي بمعنى المضاهاة أو المحاكاة ، بل على سبيل الإيضاح والإرشاد، بإيراد ما لا تدركه الأبصار في صورة ما تدركه؛ ليزداد الإيمان واليقين بنور الله العظيم الأعظم الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وقد اتخذ الشعراء والأدباء هذا المثل العظيم كعبة لهم، فأجازوا تشبيه الأعلى بالأدنى على سبيل ضرب المثل والإيضاح، فها هو أبو تمام حين مدح الأمير أحمد بن المعتصم بقوله : [١]

إقدام عمرو في سماحة حاتم ∴ في حلم أحنف في ذكاء إياس

وكان المدح بحضرة فيلسوف العرب يعقوب بن إسحاق الكندي الذي قال لأبي تمام : شبهت ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين بصعاليك العرب ! ومن هؤلاء الذين ذكرت ؟ وما قدرهم؟ فسكت أبو تمام قليلاً ثم قال:[٢]

لا تنكروا ضربي له من دونه ∴ مثلا شرودا في الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره ∴ مثلا من المشكاة والنبراس

فتعجب الكندي من حسن بديهة أبي تمام، وقال هذا الفتى قليل العمر؛ لأنه ينحت من قلبه، وسيموت قريباً، فكان كما قال ، والقصة واردة

---

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي . مجلد :٢ . ص : ٢٤٩ . بحر: الكامل.

(٢) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي . مجلد : ٢ . ص : ٢٥٠ . بحر : الكامل.

في كثير من المصادر، والمراجع الأدبية والنقدية. (١)

وأرى أن أبا تمام قد بالغ مبالغة ممقوتة في ذلك، فأين موقع ابن أمير المؤمنين من نور رب العزة؟ فنور رب العزة لا يشبهه ولا يساويه ولا يضاهيه شيء، ولا يعلم قدره إلا الله، ولما حار العقل في قوة وجمال هذا النور الذي يحرق الأبصار إن أدركته، لكنها للطف الله بها لا تدركه؛ ومن ثم ذهبت النفس كل مذهب في استطلاع قوة جمال وبهاء نور الله، فلم تستطع ؛ مما زادها حيرة، وقد ضرب الله ــ تعالى ــ لنا هذا المثل العظيم، لتوضيح أن نوره ــ جل وعلا ــ ليس كنور خلقه، فأورده في صورة مشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة توقد من شجرة مباركة.

وأجزاء هذا التشبيه من مشكاة ، ومصباح ، وزجاجة، وزيت كلها معروفة؛ لكن الله ــ تعالى ــ قد ركبها تركيباً رائعاً في وحدة فنية متآلفة لا مثيل لها في إشراقها من أنوار الخلائق ثم ضرب بها المثل لنوره العظيم الأعظم مع أنها لا تساوي شيئا من نور الله بلا مبالغة بخلاف بيت أبي تمام الذي شبه فيه الأمير بمن ضرب بهم المثل في الكرم، والشجاعة، والحلم،

---

(١) ينظر: الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني ص ٤٠٦ ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني ١٩٢/١ ، ٢٨٢ ، ط/ الخامسة ــ دار الجيل ، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع الغدواني ، تحقيق/ حفني محمد شرف ص ٥٠٩ ، ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ لجنة إحياء التراث الإسلامي ، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للعباسي ، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد ٤١/١ ، ط/ بيروت ، في النقد الأدبي للدكتور علي علي صبح ، ص : ٨٩ .

والذكاء، ثم يجعل الأمير فوقهم في ذلك؛ مستدلاً بآية النور السابقة على جواز تشبيه الأعلى بالأدنى.

وأرى أنه لا وجه للمشابهة بين الآية الكريمة وبيت أبي تمام ، فبيت أبي تمام ربما تفوق فيه المشبه به على المشبه لا سيما وأنه قد شبه الأمير بمن ضرب بهم المثل في الكرم، والشجاعة، والحلم، والذكاء من أشراف العرب، فكيف يتفوق عليهم في كل هذه المعاني النبيلة بعد أن اشتهروا بها وصاروا مضرباً للمثل فيها ؟

بخلاف نور الله الأعظم الذي لا تدركه الأبصار ولا تحيط به العقول والأفهام، فليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وقد ضرب الله ــ تعالى ــ به هذا المثل العظيم؛ لتلتفت قلوب المؤمنين إلى هذا النور المشرق اللؤلؤي العظيم فتذهب العقول في تصور حسنه وإشراقه وبهائه كل مذهب.

وهذا المثل بوحدته الفنية المشرقة، والمكونة من مشكاة فيها مصباح في زجاجة تضيء كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة يكاد زيتها يضيء دون أن تمسه نار مثل عظيم في قوة نوره وإشراقه، وهو مثل غيبي لا يمكن لأبصار البشر أن تراه؛ فمن باب أولى أن لا تدرك نور الله الأعظم؛ ليبقى أمره غيبياً لا يعلمه إلا الله؛ ومن ثم يكفي لنفوس البشر أن تتصور فيه كل حسن وجمال وكمال يليق بذات الله العلية المقدسة ؛ حتى يكشف الله ــ تعالى ــ لهم عن بهاء وجمال هذا النور يوم القيامة ــ إن شاء الله تعالى ــ لمن يؤهله لرؤيته ــ جل وعلا ــ فيتحقق فيه قول الله تعالى : وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ [1] .

---

(١) آية رقم : ٢٢ ، ٢٣ من سورة : القيامة .

ومن هنا فلا سبيل للمشابهة بمعنى المضـــاهاة، أو المحاكـــاة، أو المساواة بين نور الله العظيم الأعظم ونور الخلائق؛ ليبقى الخـــالق خالقـــاً بأنوار أسرار جماله وكماله، ويبقى المخلوق مخلوقاً بعجزه وعيبه ونقصانه مهما أودع الله فيه من نعمه والله أعلى وأعظم وأعلم.

هذا ولا عجب في نسبة الصورة الأدبية إلى لفظ الجلالة، فـــالمراد الصورة اللفظية من حيث أسرارها وإمداداتها اللغوية الفياضة ومناســـبتها لمضمونها العظيم الذي تطلق عليه، وهو ذات الله العلية المقدسة، وأثرهـــا على العواطف الإنسانية النبيلة، وإن صح إطلاق الصورة على ذاته العليـــة المقدسة، ، فقد نص القرآن الكريم على أن المؤمنين يرونه ــ جل وعلا ــ في الجنة وينظرون إليه، قال تعالى : وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَـــى رَبِّهَـــا نَاظِرَةٌ [١].

وفي حديث أبي هريرة قال: قال ناس: يا رسول الله : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال: هل تضارون في رؤية الشمس في يوم صائف والسماء مصحية غير متغيمة ليس فيها سحابة ؟ قالوا : لا . قال: فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر والسماء مصحية غير متغيمة ليس فيهـــا ســـحابة؟ قالوا: لا ، قال: فوالذي نفسي بيده كذلك لا تضارون في رؤية ربكـــم يـــوم القيامة كما لا تضارون في رؤية واحد منهما ... " . [٢]

وإن كان هذا ليس مجال بحثي ، لكن كل موجود يرى فله صـــورة

---

(١) آية رقم : ٢٢ ، ٢٣ من سورة : القيامة.

(٢) صحيح ابن حبان . تحقيق/ شعيب الأرنؤوط ٤٧٨/١ ، ط/ الأولى : سنة ١٤٠٨هـــ .

تليق بذاته ، وصورة ذات الله المقدسة لا يعلمها إلا الله، ويجب الإيمان بها في إطار قوله تعالى : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ [١] وأن الأبصار لا تراه في الدنيا، فيجب الإيمان بذلك أيضاً؛ لقوله تعالى : لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ [٢] .

(١) آية رقم ١١ من سورة : الشورى.

(٢) آية رقم : ١٠٣ من سورة : الأنعام .

المبحث السادس

لفظ الجلالة وأبعاد كمالات الصورة الأدبية

لاشك أن الدراسة الأدبية هي أسمى وأرقى أنواع الدراسات اللغوية لاسيما وأنها تهتم بمضمون الألفاظ وأسرارها المعنوية، كما تهتم بفصاحة أسلوبها، وملائمتها لمعانيها التي سيقت من أجلها، وأيضاً تهتم بعلم سر النص وإيحاءاته الخفية التي لابد وأن تخضع لها رقاب القواعد العربية التي هي فرع عن معنى النص، والمسخرة في خدمته؛ مما يدل على رفعة ودقة هذه الدراسة الأدبية الراقية.

ولاشك أن لفظ الجلالة هو أعظم وأسمى ألفاظ اللغات السامية وغيرها؛ ومن ثم فهو الأجدر بفلسفات الأدباء وصورهم الأدبية الراقية التي تكشف عن أسرار روعة جمال وكمال هذا اللفظ العظيم الأعظم.

والأصل في الصورة الأدبية أن تنبع من نص أدبي كامل؛ تتحد فيه الألفاظ والجمل والعبارات في رسم صورته الأدبية المحدودة في حجمها ولونها ورائحتها وغير ذلك من عناصر الصورة الأدبية المعروفة عند الأدباء والنقاد.

وقد خرق لفظ الجلالة كل القيود، والأعراف الأدبية، فأسفر عن صورة أدبية معجزة لا مثيل لها، حيث تكونت هذه الصورة الأدبية العظمى من لفظ واحد في مضمونه ، أحد في لفظ ومنطوقه اللغوي، فلم يلد ألفاظاً أخرى لتتفرع عنه وتشتق منه، ولم يولد من ألفاظ أخرى ليتفرع عنها ويشتق منها، ولا عجب فقد كان الله ــ جل وعلا ــ ولا شيء قبله؛ ومن ثم فكيف يتولد ويشتق من لا شيء ؟

ومن أسماء لفظ الجلالة أنه الأول فلا شيء قبله، وأنه الآخر فلا

شيء بعده، فهو ــ جل وعلا ــ الله في الأول، وهو ــ تبارك وتعالى ــ الله في الآخر؛ مما يحيط الصورة الأدبية بهالة من العظمة والكبرياء الــذي لا يليق إلا بذات الله العلية المقدسة.

ومن صفات لفظ الجلالة أنه الأول لا قبل آخر، وأنــه جــل وعــلا الآخر لا بعد أول، بل ذاك في ذاك ، ولذا كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه لربه : " اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر ". (١)

وهذا الحديث مفسر لصفات لفظ الجلالة الحسنى التي وردت في أول سورة الحديد ، حيث يقول الله ــ تعالى ــ : سَبَّحَ لِلَّهِ مَــا فِــي السَّــمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ * لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِــي وَيُمِيــتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُــلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢) .

فمن صفات لفظ الجلالة أنه الأول، فلا شيء قبله، وأنه الآخر فــلا شيء بعده، وأنه الظاهر فلا شيء فوقه، وأنه الباطن فلا شيء دونه كمــا في حديث الإمام مسلم السابق.

وهذا الحديث الشريف يدل على أبعاد الصورة الأدبية اللانهائية للفظ

---

(١) صحيح مسلم ٢٠٨٤/٤ ، ط/ دار إحياء التــراث العربــي ــ بيــروت، الأســماء والصفات للبيهقي ٣٨/١ ط/ سنة ١٤١٢هـــ ــ مكتبــة الســوادي ــ جــدة ــ السعودية .

(٢) الآيات : ١، ٢ ، ٣ من سورة : الحديد.

الجلالة، فهو الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية، وهو الظاهر فوق كل شيء فلا شيء فوقه، وهو الباطن فلا شيء دونه، وباطنه ــ جل وعلا ــ في ظاهره كما أن آخريته في أوليته.

يقول ابن القيم ــ رحمه الله ــ : " فمدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة، وهي إحاطتان : زمانية ، ومكانية، فإحاطة أوليته وآخريته بالقبل والبعد، فكل سابق انتهى إلى أوليته، وكل آخر انتهى إلى آخريته، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله دونه، وما من أول إلا والله قبله ، وما من آخر إلا والله بعده، فالأول قدمه، والآخر دوامه وبقاؤه، والظاهر علوه وعظمته، والباطن قربه ودنوه، فسبق كل شيء بأوليته وبقي بعد كل شيء بآخريته، وعلا على كل شيء بظهوره ، ودنا من كل شيء ببطونه، فلا تواري منه سماء سماء ولا أرض أرضاً، ولا يحجب عنه ظاهر باطناً، بل الباطن له ظاهر، والغيب له شهادة، والبعيد منه قريب، والسر عنده علانية ، فهذه الأسماء الأربعة تشتمل على أركان التوحيد، فهو الأول في آخريته، والآخر في أوليته، والظاهر في بطونه، والباطن في ظهوره ، لم يزل أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً ". (١)

ومن خلال هذا النص المبارك تتضح لنا أبعاد الصورة الأدبية للفظ الجلالة، حيث لا يمكن إدراكها، ولا تحديدها أو الإحاطة بها؛ مما يدل على سعة هذه الصورة الأدبية العظيمة سعة لا بداية ولا نهاية لها، فأولها لفظ

---

(١) صفات الله ــ عز وجل ــ الواردة في الكتاب والسنة لعلوي بن عبد القادر السقاف ، ص ٤٥ ــ ط/ الثالثة : سنة ١٤٢٦هـ ــ دار الهجرة.

الجلالة (الله) ؛ لكن بلا بداية، وآخرها لفظ الجلالة (الله) ولكن بلا نهايـــة، وظاهرها لفظ الجلالة (الله) وكذا باطنها لفظ الجلالة (الله) بلا انحصار فـــي جهة دون أخرى؛ مصداقاً لقوله تعالى : وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (١) .

وكم حار عقلي في هذه الصورة الأدبيـــة المعجـــزة التـــي أولهـــا كآخرها، وظاهرها كباطنها بلا بداية، ولا نهاية ، ولا انحصار في جهة دون جهة؛ بل أولها في آخرها، وظاهرها في باطنها، بطريقة لا مثيل ولا نظيـــر لها فيما صور الأدباء والكتاب في شعرهم ونثرهم ، مما يصـــدق قـــول الله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ (٢) .

ولاشك أن هذه الصورة الأدبية العظمى للفظ الجلالة تتناسب تمامـــاً مع ذات الله العلية المقدسة، فذات الله ــ جل وعلا ــ تتصف بالوحدانيـــة، ولفظ الجلالة واحد في إطلاقه على الذات العلية المقدسة، وتسميتها به، فلا يسمى به غير الله.

وذات الله ــ جل وعلا ــ ذات أحدية لم تتركب من أجـــزاء، ولفـــظ الجلالة أحدي في لفظه اللغوي، فلم يشتق ، ولم يولد أو يتفرع من غيـــره، ولم يلد أو يتفرع غيره منه ، كما أنه واحد أحد فـــي إيقاعـــه الموســـيقي، ونطقه الصوتي بجميع اللغات دون ترجمة أو اختلاف من لغة إلى أخـــرى، فالمنطوق واحد بجميع اللغات؛ فمثلاً : تقول : الله بالعربيـــة، وباللاتينيـــة تقول:allah دون ترجمة بخلاف إله، فلا تقول: elah وإنمـــا تترجمهـــا

---

(١) آية رقم : ٣ من سورة : الأنعام .

(٢) آية رقم ١١ من سورة : الشورى.

وتقول: God بمعنى إله، ولا عجب فقد أطلق لفظ إله أيضاً على الآلهة الباطلة؛ بدليل قوله تعالى : أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى[١] يريد آلهة باطلة، بخلاف لفظ الجلالة الذي لا يطلق إلا على الإله الحق، وهو الله الذي لا إله إلا هو، ومن ثم يظل منطوقاً بلسان واحد في كل لغات أهل الأرض وأهل السماء؛ مصداقاً لقوله تعالى : وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ [٢] .

وقد ذكرت في تمهيد هذا البحث أن الأصل في الاسم أن يطابق المسمى، وأنه الرداء المعنوي للمسمى، فلابد وأن يكون على قدره، فأين الاسم الذي يصلح أن يكون رداء معنوياً لذات الله العلية المقدسة ؟

ومن المعروف أن الله ــ تعالى ــ قد وسع كرسيه السموات والأرض، كما نص القرآن الكريم في آية الكرسي [٣] فكيف بذاته العلية المقدسة ؟

لاشك أن ذات الله العلية المقدسة يجب لها كل كمال يليق بها، ويستحيل عليها كل نقص، بل إن كمالاتها لا تتناهى، ولا يحيط بها عقل، وقد حارت العقول في إدراكها فلم تستطع أبداً إدراكها.

وقد ناسبت الصورة الأدبية للفظ الجلالة لهذه الكمالات؛ حيث عرف علماء العقيدة لفظ الجلالة فقالوا: اسم الله علم على الذات الواجب الوجود المستجمع لجميع صفات الكمال الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المفرد

---

(١) آية رقم : ١٩ من سورة : الأنعام .

(٢) آية رقم : ٣ من سورة : الأنعام .

(٣) آية رقم : ٢٥٥ من سورة : البقرة.

بالوجود الحقيقي، فهو اسم للموجود الحق، الواجب الوجود، المستحق للعبادة.

وهذا الاسم أعظم أسمائه سبحانه، فلم يتسم به غيره، ولذا لم يثن، ولم يجمع، وهو اسم علم دال على الإله الحق دلالة جامعة لجميع الأسماء الحسنى، فهو يوصف بجميع الصفات، ولا يوصف به غيره؛ لأنه الغاية لجميع الأسماء.(١)

وأرى (والله أعلم) أن معنى لفظ الجلالة، كمال مطلق لا بداية ولا نهاية له في كمال مطلق لا بداية ولا نهاية له، ولا يطلق إلا على ذات الله العلية المقدسة، ولا يسمى به غير الله مصداقاً لقوله تعالى : فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِياً (٢) ، وتذييل الآية سبب في أولها؛ فكونه ــ جل وعلا ــ لا سمي له، يعد برهاناً كافياً على وحدانية وعظمة وكمالات ذاته المقدسة؛ مما يدعو إلى اليقين، والإيمان به ؛ لأن الصورة الأدبية للفظ الجلالة (الله) تمتد وتتسع أبعاد كمالاتها إلى ما لا نهاية، ومن ثم فلا يصلح لها إلا ذات واحدة، هي ذات الله العلية المقدسة التي يجب لها كل كمال يليق بها، والتي لا بداية ولا نهاية لها.

وقد حارت العقول في هذه الصورة الأدبية المعجزة التي تبدأ بلفظ واحد أحد هو (الله) وتنتهي عند نفس اللفظ، فالله أولها والله آخرها، والله ظاهرها والله باطنها.

---

(١) ينظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ، تأليف/ محمد أحمد خليل ملكاوي . ص : ٧٠ . ط/ الأولى سنة ١٤٠٥هـ ــ مكتبة دار الزمان.

(٢) آية رقم : ٦٥ من سورة : مريم.

وقد اعتاد الأدباء على استخراج الصورة الأدبية من ديوان شعري، أو قصيدة، أو مقال، أو نص أدبي كثير الجمل والعبارات، ومع ذلك تأتي الصورة ناقصة، محددة العناصر والأبعاد ؛ لها بداية ونهاية، فيمكن إدراكها ، ولا عجب في تصور مخلوقاً خلقه الله ــ تعالى ــ بخلاف الصورة الأدبية للفظ الجلالة التي لا تتعلق إلا بالخالق ــ جل وعلا ــ والتي تتسع أبعادها إلى ما لا نهاية، لتليق بكمالات ذات الله العظيمة المقدسة.

وجميع أسماء الله الحسنى كل منها كامل في معناه المفهوم من لفظه كمالا يليق بذات الله العلية المقدسة، فالقادر كامل في القدرة ، والحليم كامل في الحلم، والعليم كامل في العلم، والمريد كامل في الإرادة، واللطيف كامل في اللطف، فمثلاً : إذا قلت : القادر، انصرف العقل إلى كمال قدرته ــ جل وعلا ــ وكذا إذا قلت : العليم، انصرف العقل إلى كمال علمه ــ جل وعلا ــ ولكن ماذا إذا قلت : الله ؟ فإلى أي كمال تنصرف العقول والأفهام؟ وإلى أي معنى ؟ وهل هناك حد لهذا الكمال؟

لاشك أن العقول والأفهام تنصرف إلى كل كمال يليق بذات الله العلية المقدسة في كل المعاني والأفكار العلية لأن لفظ الجلالة كامل في كل هذه المعاني؛ كمالا لا يليق إلا بذاته المقدسة، فهو الاسم العظيم الجامع لجميع صفات الجمال والجلال، والكمال الإلهي بلا بداية، ولا نهاية، لتبقى الصورة الأدبية فيه غيبية لا تدركها الأبصار، ولا العقول والأفهام؛ مصداقاً لقوله تعالى : لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِير[1].

فكما أن الأبصار لا تدرك ذاته العلية المقدسة، فكذا عقول الأدباء قد

---

(١) آية رقم : ١٠٣ من سورة : الأنعام.

عجزت عن الإحاطة بالصورة الأدبية للفظ الجلالة وأبعادها اللابدائية، واللانهائية؛ لتبقى غيبية لا مثيل، ولا نظير، ولا شبيه لها؛ لأنها تتعلق بلفظ الجلالة الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ومن ثم فهي أكمل وأعجب صورة أدبية معجزة تتكون من لفظ واحد أحد هو لفظ الجلالة الذي لا بداية له ولا نهاية له، فتتسع أبعاد كمالاتها إلى ما لا بداية وإلى ما لا نهاية فلا تستطيع العقول إدراكها، أو الإحاطة بها، لتبقى هي الصورة الأحدية العظمى التي لا تليق إلا بذات الله العظيمة المقدسة.

يقول الشريف الرضي : " تاهت العقول في ذاته ــ تعالى ــ وصفاته؛ لاحتجابها بأنور العظمة، وتحيروا أيضاً في لفظ الجلالة، كأنه انعكس إليه من تلك الأنوار أشعة بهرت أعين المستبصرين ". (١)

ومن هنا فلا عجب في أن تتيه عقول الأدباء في ماهية الصورة الأدبية للفظ الجلالة التي ظاهرها كباطنها، والتي تمتد أبعاد كمالاتها من حيث ما لا بداية لها ثم تتسع إلى ما لا نهاية بطريقة معجزة لا مثيل لها، ولا تليق إلا بذات الله العظيمة المقدسة.

ولاشك أن الصورة الأدبية تقوى وتشتد بقدر قوة صاحبها، وقدرته على تأثيرها في نفس المتلقي وإيمانه بها؛ ومن ثم فكيف إذا كانت قدرة صاحبها مطلقة تتسم بالعموم والشمول؟

فالله ــ جل وعلا ــ على كل شيء قدير، ولا عجب فمن صفات لفظ الجلالة أنه القادرة المقتدر ، وأنه القوي المتين وأنه القاهر فوق عباده،

---

(١) الكشكول لبهاء الدين الهمذاني . تحقيق: محمد عبد الكريم النمري ٢٩٣/٢ ط/ الأولى : سنة ١٤١٨هـ ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت .

وغير ذلك من صفات الجلال التي تدل على قوة وحيوية الصورة الأدبية للفظ الجلالة بطريقة لا تليق إلا بذات الله العلية المقدسة.

هذا بالإضافة إلى صفات الجمال التي تتعلق أيضاً بلفظ الجلالة، فهو ــ جل وعلا ــ الحنان المنان، والعفو الغفور، والرحمن الرحيم، واللطيف الودود؛ مما يدل على سمو جمال ، وكمال العاطفة الفياضة من لفظ الجلالة على خلقه حسب حكمته في خلقه وبطريقة كاملة لا تليق إلا بذاته العلية المقدسة.

ويمكنك أن تقول ــ بإيجاز عظيم ــ : إن الصورة الأدبية العظمى للفظ الجلالة تتسم بكل أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وتشتمل على كل معانيها الرفيعة في وقت واحد ، بترابط وتماسك فني أحدي، بطريقة لا يمكن فصل هذه المعاني عن بعضها بل ولا يمكن إدراك بعضها دون بعض؛ مما حير عقول الأدباء، والنقاد، والبلغاء ؛ لتظل الصورة غيبية لا تدرك الأبصار أبعاد كمالاتها؛ ليتحقق فيها قول الله تعالى : لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ (١).

وتظل الصورة الأدبية العظمى للفظ الجلالة حية قوية ؛ لأنها تعبر عن ذات الله الحي الباقي، الذي لا يفنى أبداً ولا يزول؛ ومن ثم فقد كتب الله ــ تعالى ــ لها الخلود، والبقاء بعد أن يفنى كل شيء، كما كتب لها البقاء قبل أن يخلق أي شيء؛ ليتسع حجم هذه الصورة الأدبية العظمى بين كمالات لا بداية لها، وتمتد أبعادها إلى كمالات لا نهاية لها؛ بطريقة لا تليق إلا باسم الله الأعظم الذي هو علم على ذات الله العلية المقدسة.

---

(١) آية رقم : ١٠٣ من سورة : الأنعام.

المبحث السابع

نماذج من لفظ الجلالة في تراثنا الأدبي

لاشك أن النفس البشرية بطبيعة فطرتها النقية تعرف لفظ الجلالة، وتعلم أنه الخالق لكل شيء؛ لأنه قد كان قبل كل شيء، وليس ذلك مقصوراً على المؤمنين بالله ــ تعالى ــ فقط ، بل إن نفوس الكافرين لتعلم بفطرتها أن الخالق لكل شيء هو الله العظيم، وقد حكى القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى : وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ (١) .

لكنهم يشركون به ويجعلون معه آلهة أخرى من الأوثان والأصنام التي كانوا يعبدونها، ويتقربون ويتزلفون بها إلى الله بفكرهم الفاسد، وعقيدتهم الباطلة، قال تعالى : أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٢) .

ومن هنا فلفظ الجلالة كان معروفاً لدى العرب الجاهليين قبل الإسلام بفطرتهم السليمة؛ بالإضافة إلى من كان يدين منهم قبل الإسلام بالحنيفية الإبراهيمية، أو اليهودية ، أو النصرانية فكلها ديانات سماوية كانت تعرف الله ــ تعالى ــ معرفة حقيقية؛ لاسيما قبل تحريف كتبها، ومن ثم ترى الشعراء الجاهليين يذكرون لفظ الجلالة في قصائدهم الشعرية، كما

---

(١) آية رقم : ٢٥ من سورة : لقمان .

(٢) آية رقم : ٣ من سورة : الزمر.

في قول زهير بن أبي سلمى : (١)

فلا تكتمن الله مـــا فـــي نفوســـكم ∴ ليخفى ومهما يكـــتم الله يعلـــم

فهو يقر بأن الله ــ جل وعلا ــ يعلم السر وأخفى ، وأنه مطلـــع على ما تخفيه النفوس، وتكنه الصدور.

وقد جاء هذا المعنى في القرآن الكريم بأسلوب معجز كما في قـــول الله تعالى: لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَـــى كُـــلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .(٢)

وترى في شعر الجاهليين نسبة القضاء والقدر إلى لفظ الجلالة كما في قول قيس بن الخطيم : (٣)

قضى لها الله حـــين يخلقهـــا الـــــ ∴ خـــــالق ألا يكنهـــــا ســـــدف

كما ترى وصف لفظ الجلالة بأنه الحق وأن كل ما سواه باطل في قول لبيد بن ربيعة العامري : (٤)

ألا كل شيء ما خلا الله باطـــل ∴ وكـــــل نعـــيم لا محالـــــة زائـــــل

---

(١) ديوان زهير ربن أبي سلمى . ص : ٨١ ، ط/ دار صادر ــ بيروت ، والبيت مـــن بحر: الطويل.

(٢) آية رقم : ٢٨٤ من سورة البقرة.

(٣) ديوان قيس بن الخطيم . تحقيق: د/ ناصر الدين الأسد. ص ١٠٥ ، ط/ ١٩٦٧م ــ دار صادر ــ بيروت.

(٤) ديوان لبيد بن ربيعة العامري . ص ٨٥ . ط/ الأولى : ١٤٢٥هـــ ــ دار المعرفة.

وقد صدق رسول الله ﷺ بمعنى هذا البيت الرائع، وأثنى عليه فقال: " أصدق كلمة (وفي رواية : بيت) قالها شاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل " . (١)

وفي رواية البيهقي عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال : قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن أشعر بيت تكلمت به العرب كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل ". (٢)

ومن هنا فوصف لفظ الجلالة بأنه الحق هو أصدق الصدق وأن ما سواه باطل مصداقاً لقوله تعالى : (٣)... وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ.

ومعرفة الشعراء الجاهليين بلفظ الجلالة نابع من فطرتهم التي جبلوا عليها، وما تعلموه من عقائد أهل الكتاب الصحيحة قبل الإسلام، والتي تتفق مع عقائد ديننا الإسلامي الحنيف؛ ولذا ترى اتساع حجم الصورة الأدبية للفظ الجلالة إلى ما لا بداية ولا نهاية له من معاني الصفات التي تليق به جل وعلا كالقدرة والإرادة والعلم والعدل والحق والجمال .

أما بعد مجيء الإسلام فنرى الصورة الأدبية للفظ الجلالة نابعة من قلوب مؤمنة بالله رب العالمين ، فها هو حسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ وشاعر الإسلام والمسلمين، تراه يذكر لفظ الجلالة معلنا إيمانه، ويقينه به

---

(١) مختصر صحيح البخاري لأبي عبد الرحمن الألباني ٥٣٢/٢ ط/ الأولى سنة ١٤٢٢هـ ــ مكتبة المعارف ــ الرياض.

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي . تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي ٤٣/٢ ، ط/ الأولى ١٤١٢هـ ــ مكتبة السوادي ــ جدة ــ السعودية.

(٣)آية رقم : ٢٥ من سورة : النور.

فيقول: (١)

والله ربـــي لا نفـــارق أمـــره ∴ مـــادام عـــيش يرتجـــى لمعـــاد

لا نبتغي ربا ســـواه وناصـــرا ∴ حتـــى نـــوافي ضـــحوة الميعـــاد

فهو رب كل شيء، وإليه يرجع الأمر كله، فمنه النصر والظفر على الأعداء، فكيف نبتغي رباً سواه ؟

وهذا المعنى فيه اقتباس من قول الله ــ تعالى ــ : قُلْ أَغَيْرَ اللَّـــهِ أَبْغِي رَباًّ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ... (٢) .

وعموم الصورة الأدبية للفظ الجلالة بكمالات صفاتها العليا التـــي لا بداية ولا نهاية لها تناسب أن يكون هو ــ جل وعلا ــ رب كل المخلوقات التي خلقها بقدرته على كل شيء.

وقد ترى بعض المصطلحات الإسلامية مضافة إلـــى لفـــظ الجلالـــة كمصطلح الرسول ﷺ في قول حسان بن ثابت : (٣)

فمـــن يهجـــو رســـول الله مـــنكم ∴ ويمدحـــه وينصـــره ســـواء

فـــإن أبـــي ووالـــده وعرضـــي ∴ لعـــرض محمـــد مـــنكم وقـــاء

ومصطلح أمين الوحي جبريل ــ على نبينا وعليه الصلاة والســـلام

---

(١) ديوان حسان بن ثابـــت . تحقيـــق/ ســـيد حنفـــي حســـانين . ص ٣٣٨ . ط/ دار المعارف.

(٢) آية رقم : ١٦٤ من سورة الأنعام.

(٣) ديوان حسان بن ثابت . ص ٧٦ . بحر : الوافر.

ــ يقول حسان بن ثابت : [١]

وجبريـــــل أمـــــين الله فينـــــا ∴ وروح القـدس لـيس لـه كفـاء

وترى في شعر جرير توجيه الشكوى، والتضرع ، والدعاء إلى لفظ الجلالة؛ حيث يقول: [٢]

لو تعلمين الذي نلقـى أويـت لنـا ∴ أو تسمعين إلى ذي العرش شكوانا

كصاحب الموج إذا مالـت سـفينته ∴ يدعو إلـى الله إسـراراً وإعلانـا

ويعد هذا اقتباساً من قول الله تعالى : وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ [٣]

وأيضاً ترى جرير ينسب العطاء إلى الله ــ تعالى ــ ويحـث علـى شكره، فيقول: [٤]

الله أعطاك فاشـكر فضـل نعمتـه ∴ أعطاك ملك التي ما فوقها شـرف

وقد كان رسول الله ﷺ يكرر لفظ الجلالة عند الكرب، فعن أسـماء بنت عميس ــ رضي الله عنها ــ قالت : " علمني رسـول الله ﷺ كلمـات أقولهن عند الكرب : الله الله ربي ، لا أشرك به شيئاً " . [٥]

---

(١) ديوان حسان بن ثابت . ص ٧٦ . بحر: الوافر.

(٢) ديوان جرير . تحقيق د/ نعمان محمد أمين ١٦٠/١ ط/ الثالثة ــ دار المعارف.

(٣) آية رقم : ١٣ من سورة : الملك .

(٤) ديوان جرير ١٧٥/١ . بحر: البسيط.

(٥) سنن ابن ماجة . تحقيق : شعيب الأرنؤوط ٤٦/٥ ط/ الأولى.

وجميع السنن والأذكار التي وردت عن النبي ﷺ لم تخل من لفظ الجلالة، وصفاته العليا، وهي أذكار معلومة، وقد كثر البحث فيها، فلا داعي لتكرارها.

وفي العصر العباسي لا ننسى أبا العتاهية شاعر الزهد وما انتشر في شعره من ذكر، وابتهالات ، وتسابيح، كما في قوله : (١)

سبحان من سخر نجم الدجا ∴ والبدر في قدرته يسلكان

هذا وقد كثر ذكر لفظ الجلالة عند شعراء العصر الحديث بطريقة لا تخفى على أحد ، وقد امتلأت الأبحاث والرسائل العلمية بتحليل مثل هذه الأشعار ضمن الاتجاه الإسلامي؛ ما بين استغاثة ودعاء، وتضرع ومناجاة لله رب العالمين.

وقد لفت انتباهي حقيقة أن أرى قصيدة باسم لفظ الجلالة ، قصيدة (الله) وهي منسوبة لأمير الشعراء أحمد شوقي، وهي قصيدة مجهولة لم ترد في دواوين أمير الشعراء؛ لكنها نشرت بالفعل في جريدة الدستور، وهي منسوبة لشوقي تحت عنوان قصيدة (الله) والتي جاء منها قوله: (٢)

الحق حجته هي الغراء ∴ هيهات في فلق الصباح مراء

---

(١) اللزوميات لأبي العلاء المعري .تحقيق: أمين عبد العزيز الخانجي ٢/٤٠٥. ط/ مكتبة الخانجي ــ القاهرة . بحر: السريع.

(٢) جريدة الدستور . رئيس التحرير / وائل لطفي ، رئيس مجلس الإدارة : د/ محمد الباز، وقد نشرت فيها هذه الأبيات بتاريخ ٢٤ مايو سنة ٢٠١٩م ، والأبيات من بحر : الكامل.

لا يطلـــبن الغايـــة الشـــعراء ∴ لـــو نـــال كنـــه جلالـــك الكبـــراء
الوهم يبعد فـــي الظنـــون ويقـــرب ∴ والعقـــل فيـــك مســـافر متغـــرب
والفكر يهرب حيث أنـــت المهـــرب ∴ والـــنفس غايتهـــا إليـــك تقـــرب
العقـــل أنـــت عقلتـــه وســـرحته ∴ وأحـــرت فيـــه دليلـــه وأرحتـــه
بجلالـــة أضـــحى الجمـــال تعـــوذا ∴ وغدا الجمال على الجلال استحوذا
بيمينـــك الملـــك الـــذي لا يحصـــر ∴ خلت الممالـــك دونـــه والأعصـــر
- - - - - - - - - - - - - - - ∴ أنـــى لـــك الشـــركاء والنظـــراء؟

فهو ــ جل وعلا ــ الإله الحـــق الـــذي لا إلـــه غيـــره بـــالحجج، والبراهين القوية الواضحة، بلا مراء ولا جدال، ومن ثم فلا بداية ولا نهاية لكمالاته العلية المقدسة، فكيف يدرك الشعراء والأدباء غاية ونهاية كمالات جلال الله رب العالمين؟

ومن هنا حار العقل في إدراك كمالات ذات الله العلية المقدسة؛ حتى هرب منه مركز التفكير وعجز عن أداء وظيفته وكاد العقل أن ينفصل عن الجسد، ولم يك للنفس غاية سوى أن تذعن لأوامر الله ــ جـــل وعـــلا ــ وتتقرب إليه.

وقد أشار بعد ذلك إلى أن الله ــ جل وعلا ــ هو الذي يربط العقـــل ويمسكه عن الفكر ، والوهم، والخيال، وهو الذي يطلقه ليسرح في ملوكته باحثاً عن الأدلة التي تريحه في معرفة الخالق رب العالمين.

وبعد ذلك يشير أمير الشعراء إلى صفات وأســـماء لفـــظ الجلالـــة الحسنى التي تتعلق به؛ ليوصف بها فيقسمها إلى صفات الجمال التي تفيـــد الرأفة والرحمة بالإنسان مثل : الرحمن، الـــرحيم، الـــرؤوف ، اللطيـــف،

الحنان، المنان ، الودود ... ، وإلى : صفات الجلال مثل : القادر ، المقتدر، الجبار، المتكبر، المنتقم ... ونحوها ، ثم يجعل صفات الجمال تستغيث وتستعيذ بصفات الجلال، لتسبق رحمة الله غضبه وعقابه، فيغفر لخلقه الضعفاء.

وملك الله ــ تعالى ــ كائن بيده ؛ يؤتيه لمن يشاء وقت ما يشاء، وينزعه ممن يشاء وقت ما يشاء، مصداقاً لقوله تعالى : تُؤْتِي المُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ المُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) .

وملك الله لا بداية ولا نهاية له ، فلا يستطيع أحد أن يحصيه ، مع أنه مخلوق لله رب العالمين، فكيف بذات الله الخالق الذي يجب له كل كمال يليق بذاته العلية المقدسة؟

وكما ذكرت في تمهيد هذا البحث أن الاسم علم على الذات التي تسمى به، وأنه الرداء اللفظي الذي ترتديه ، ومن ثم تتسع صورته الأدبية اتساعاً يتناسب مع الذات التي يطلق عليها.

ومن هنا أرى اتساع أبعاد كمالات الصورة الأدبية للفظ الجلالة إلى ما لا بداية، وإلى ما لا نهاية له، لتتناسب مع كمالات ذات الله العلية المقدسة؛ التي لا بداية ولا نهاية لها، والتي لا يسمى به غيرها كما قال تعالى: هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٢) .

وحق لشوقي أن يقول في آخر قصيدة (الله) :

---

(١) آية رقم : ٢٦ من سورة : آل عمران.

(٢) آية رقم : ٦٥ من سورة : مريم .

- - - - - - - - - - - - - - - ∴ أنـــى لـــك الشـــركاء والنظـــراء؟

فهو ــ جل وعلا ــ لا شريك ، ولا نظير ، ولا شبيه ولا مثيل لـــه ــ جل وعلا ــ مصداقاً لقوله تعالى : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَـــيْءٌ وَهُـــوَ السَّـــمِيعُ البَصِيرُ [1] .

وكذا تحليل أبعاد كمالات الصورة الأدبية للفظ الجلالة يأتي في إطار الآية الكريمة السابقة؛ فهو ــ جل وعلا ــ وحده لا شريك له ، هو الخالق لكل ما سواه ، وشتان بين الخالق والمخلوق فلا يشاركه، ولا يماثلـــه فـــي شيء ، ومن ثم فقد كفر وافترى على الله من قال : إن لله ولداً ، ولو كـــان هذا الولد نبياً من أنبياء الله!!!

لأن الولد مخلوق في يوم محدد، فلم أخر الله تعالى ميلاد ولـــده إن كان له ولد إلى هذا اليوم ؟ ولم لم يجعل آدم أبا البشر ولداً له ؟

سبحان الله وتعالى عما يقولون علواً كبيراً.

ومن المعروف أن الوالد يلد من جنســـه، فالإنســـان يلـــد إنســـاناً، والحيوان يلد حيواناً، وكذا الطير والنبات، فلو صح أن يكـــون لله ولـــد ــ تعالى الله عن ذلك ــ لاتخذ ولداً من ذاته العلية المقدسة ، فيكون إلهاً مثله، وليس بشراً ولو كان نبياً ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وفائدة الولد تكمن في العزوة والقوة، والاستعانة به، بالإضافة إلى بقاء الجنس بعد فناء الذات الأولى، والله ــ تبارك وتعالى ــ قـــادر مقتـــدر على كل شيء، فلا يحتاج إلى معين، وهو الحي الباقي الذي لا يفنى أبـــداً

---

(١) آية رقم ١١ من سورة : الشورى.

ولا يزول، فلا يحتاج إلى ولد، ومن ثم فهو الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وصدق الله العظيم القائل : قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ العَابِدِينَ (١) .

هذا وقد كفر أيضاً من زعم أن الله قد اشترك مع نبي من خلقه في ذات واحدة، وأن هذا النبي هو الله، فكيف يشترك الخالق والمخلوق في ذات واحدة ؟

وإذا كان هذا النبي المخلوق هو الله ؟ فأين الله قبل أن يولد هذا النبي المخلوق؟

لاشك أن الله موجود قبل ميلاد هذا النبي المخلوق، ومن ثم فهذا النبي المخلوق لا يستنكف إلا أن يكون عبداً من عباد المخلوقين له، وأن الله ــ تبارك وتعالى ــ هو الإله الواحد الأحد الذي لا إله إلا هو لا شريك له، وهذا ما يتناسب تماماً مع وحدانية وأحدية الصورة الأدبية العظمى للفظ الجلالة وأبعاد كمالاتها اللابدائية واللانهائية.

---

(١) آية رقم : ٨١ من سورة : الزخرف.

الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا الموضوع العظيم؛ لأنه يبحث في لفظ الجلالة والعظمة، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد إمام المرسلين والأنبياء، وسراج العارفين الأولياء، وقدوة المحققين الأوفياء، وعلى آله وصحبه عدد ما وسعه علم الله ، وبعد؛؛؛

فقد تم ــ بفضل الله تعالى ــ تحليل الصورة الأدبية العظمى للفظ الجلالة التي حارت فيها عقول اللغويين والأدباء، والتي اتسعت أبعاد كمالاتها إلى ما لا بداية ولا نهاية له، لتناسب مضمونها العالي الذي تطلق عليه وهو ذات الله العلية المقدسة ومن ثم فقد أثمر هذا البحث كثيراً من النتائج والثمار الأدبية الطريفة، والتي من أهمها :

١- كشف هذ البحث عن دراسة أدبية راقية ؛ حيث يدور موضوعه حول لفظ واحد أحد هو لفظ الجلالة، وتحليله تحليلاً أدبياً رفيعاً ، ليجمع بين أعظم لفظ وأسمى وأدق تحليل.

٢- كشف أيضاً عن صورة أدبية عظيمة لا مثيل لها؛ تكمن في لفظ الجلالة وما يدور حوله من معان سامية وكمالات عالية لا تليق إلا بذات الله العلية المقدسة؛ مما حير العقول والألباب.

٣- أشار إلى كثير من الأدلة والبراهين القطعية التي ترجح أن لفظ الجلالة هو اسم الله الأعظم.

٤- كشف هذا البحث عن وحدة الصورة الفني العظمى للفظ الجلالة وكيف

تبدو رداء لفظياً لذات الله العليا المقدسة؛ فلا يسمى بها غيره جل وعلا.

٥- كشف هذا البحث أيضاً عن أحدية الصورة الأدبية للفظ الجلالة الذي لم يولد ولم يشتق من أي مادة لغوية أخرى؛ ليناسب مضمونه ومسماه الذي يطلق عليه وهو ذات الله ــ تعالى ــ الأحدية التي لم تولد ولم تتركب من أجزاء كما قرر علماء العقيدة؛ ليلتقي التحليل الأدبي العالي للفظ الجلالة مع عقيدة أهل السنة والجماعة حول ذات الله ــ تعالى ــ العلية المقدسة وهو ما نادت به المدارس النقدية القديمة والحديثة من ضرورة ائتلاف اللفظ ومناسبته لمضمونه الذي يطلق عليه.

٦- أشار هذا البحث إلى الخطأ الفادح الذي وقع فيه سيبويه ومن نهج نهجه من أئمة العربية الذين قالوا باشتقاق لفظ الجلالة مع ذكر الأدلة والبراهين التي تقضي بعدم اشتقاقه .

٧- أعرب هذا البحث عن إنكار كثير من الأدباء للقول باشتقاق لفظ الجلالة، وكراهيتهم لهذا القول الذي يعد من ابتداع اللغويين الذين يقدسون قواعد العرب، ويحاولون تطبيقها على كل شيء، ناسين أن لفظ الجلالة علم على ذات الله ــ تعالى ــ الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير؛ مما يدل على رقي التحليل الأدبي وبراعته الفنية في فهم أسرار النصوص الأدبية ومفرداتها .

٨- أثبت هذا البحث أن لفظ الجلالة لا يوصف بالاشتقاق كما ذكر سيبويه ، ولا بالجمود كما ذكر شيخه الخليل بن أحمد، وإنما يوصف بما وصفه به القرآن الكريم؛ فهو الواحد في معنى مسماه، والأحد الفرد في لفظه ولغته، الذي لم يلد ألفاظاً أخرى لتشتق منه وتتفرع عنه ولم يولد من أصول لغوية أخرى ليشتق منها أو يتفرع عنها، ولم يكن له كفواً أحداً؛

لأنه الخالق لكل أحد، وهو الموجود قبل كل شيء، فكيف يشتق من شيء جاء بعده ؟

٩- كشف هذا البحث عن أهم أسرار الأسماء والصفات التي تتعلق بلفظ الجلالة، وأثرها في اتساع مفهوم الصورة الأدبية.

١٠- كشف هذا البحث عن غيبية الصورة الأدبية للفظ الجلالة والتي لا تدركها أبصار الأدباء؛ لأنها علم على ذات الله ــ تعالى ــ الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير.

١١- أفصح هذا البحث عن الحقيقة المطلقة التي هي عماد الصورة الأدبية العظمى للفظ الجلالة الذي من صفاته ــ جل وعلا ــ أنه الحق المبين، وأن هذه الصورة الحقيقية العظمى للفظ الجلالة قد فاقت حد الخيال بمراحل لا يعلمها إلا الله؛ لتتناسب مع كمالات ذات الله العليا المقدسة.

١٢- دفع هذا البحث إيهام اعتماد الصورة الأدبية على الخيال أو التشبيه التمثيلي الذي قد يفهم من قوله تعالى : اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ.... وأن المراد هو ضرب المثل بإيراد ما لا تدركه الأبصار في صورة ما تدركه لا على سبيل التشبيه أو المساواة، بل على سبيل الإيضاح وتقريب الصورة إلى المتلقي في إطار قوله تعالى : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ .

١٣- كشف هذا البحث عن الإيقاع الموسيقي للفظ الجلالة وما يبعثه من موسيقى لفظية هادئة تريح النفس وتطمئن القلب وتزيل المخاوف والآلام.

١٤- أعرب هذا البحث عن أثر لفظ الجلالة العجيب في إيقاظ وإثارة العواطف النبيلة مثل : عاطفة الطرب والفرح والخوف والحزن،

وعاطفة الحق والعدل، والنصر والنجاح، حيث تفزع النفس إلى ذكر لفظ الجلالة؛ لتعبر عن هذه المشاعر والعواطف النبيلة الخفية.

١٥- خرق هذا البحث قواعد الأدباء حول أبعاد الصورة الأدبية التي تمتد وتتسع بكثرة الألفاظ والعبارات التي تساعد في تكوينها ؛ لكن هذه الصورة الأدبية العظمى للفظ الجلالة مع أنها تتكون من لفظ واحد أحد؛ لكنها تتسع أبعاد كمالاتها مما لا بداية له، وتمتد إلى ما لا نهاية له؛ لتناسب ذات الله ــ تعالى ــ الذي وسع كرسيه السموات والأرض، فكيف بذاته العليا المقدسة ؟

١٦- أهدى هذا البحث إلى الأدب والأدباء صورة أدبية لا مثيل لها ، فلم تدركها أبصار الأدباء معتقدين فيها كل كمال وجمال مطلق لا يليق إلا بذات الله العليا المقدسة.

١٧- كشف هذا البحث عن حيوية وخلود الصورة الأدبية العظمى للفظ الجلالة والتي تستمد حيويتها وخلودها من اسم الله الحي الباقي الذي لا يفنى أبداً ولا يزول.

١٨- أشار هذا البحث إلى صور ونماذج تطبيقية من ذكر لفظ الجلالة على ألسنة الأدباء والشعراء وأثره في عواطفهم الأدبية.

١٩- أثبت هذا البحث ــ بفضل الله ــ تعالى قيمة التحليل الأدبي في معرفة أسرار الألفاظ ، ومدى مناسبتها لمعانيها ووضع لفظ الجلالة في أسمى مكانة لا تليق إلا به مع بيان أهم أسرار إعجاز صورته الفنية.

٢٠- في ختام هذا البحث أوصي إخواني وزملائي من الباحثين والباحثات بالاطلاع على الصورة الأدبية العظمى للفظ الجلالة وأبعاد كمالاتها اللابدائية، واللانهائية؛ حتى تقف عقولهم على أجمل وأكمل صورة أدبية

تقوم على الحقيقة المطلقة التي تفوق الخيال بمراحل لا يعلمها إلا الله، والتي لا مثيل ولا نظير لها.

هذا وأرجو من الله ــ تعالى ــ العظيم أن يجعل هذا العمل بمضمونه العظيم خالصاً لوجه الله العظيم، وأن يرحم ضعفي فيغفر لي ما كان فيه من زلات، فيبدلها ــ بفضله ــ إلى حسنات لي ولمن قومه وأشاد به، لينفع الله به المسلمين والمسلمات، والآدميين والآدميات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فهـــرس المصـادر والمراجـــع

أولاً: القرآن الكريم جل وعظم من أنزله .

ثانياً: المصادر والمراجع العامة:

- أدب الكاتب للصولي. تعليق وتصحيح : محمـــد بهجـــة الأثـــري ، ط/ ســـنة ١٣٤١هـــ ــ المطبعة السلفية ــ مصر .
- الأدب المفرد للإمام البخاري . تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي ، ط/ الثالثـــة : سنة ١٤٠٩هـــ ــ دار البشائر الإسلامية ــ بيروت .
- الأسلوب لأحمد الشايب ط/ الثانية عشرة : ٢٠٠٢م.
- الأسماء والصفات للبيهقي . تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، ط/ الأولـــى ١٤١٢هـــ ــ مكتبة السوادي ــ جدة ــ السعودية.
- الأصول في النحو لأبي بكر بن السراج، ط / مؤسسة الرسالة ــ لبنان.
- الإطار الموسيقي ملامحه وقضاياه للدكتور/ عبد العزيز نبـــوي ، ط/ ١٩٨٧ ــ القاهرة.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي ، تحقيق/ محمـــد النجار ، ط/ إحياء التراث الإسلامي ــ القاهرة .
- اتجاهات وآراء في النقد الحديث للدكتور محمد نايل ، ط/ مطبعة الرسالة.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجـــاز القـــرآن لابـــن أبـــي الإصبع العدواني ، تحقيق: د/ حفني شرف ط / الجمهورية العربية المتحـــدة ــ إحياء التراث الإسلامي .
- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، ط/ الدار التونسية.
- تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم لعبد الرزاق بن فراج الصاعدي ، ط/ الأولى سنة ١٤٢٢هـــ .
- تفسير ابن كثير ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ط/ الثانية سنة ١٤٢٠هـــ،

ط/ دار طيبة.
- التفسير النفسي للأدب للدكتور/ عز الدين إسماعيل ، ط/ ١٩٦٣ ــ دار المعارف.
- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، تحقيق/ محمد عوض مرعب ، ط/ الأولى لسنة ٢٠٠١م ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لزين الدين ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، ط/ السابعة سنة ١٤٢٢هـ ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت .
- جريدة الدستور . رئيس التحرير / وائل لطفي ، رئيس مجلس الإدارة : د/ محمد الباز.
- حاشية السندي على سنن ابن ماجة (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجة) لأبي الحسن نور الدين السندي ط/ دار الجيل ــ بيروت .
- حياة الحيوان للدميري ط/ الثانية سنة ١٤٢٤هـ .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي تحقيق وشرح/ عبد السلام هارون، ط/ الرابعة سنة ١٤١٨هـ .
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ، تحقيق / أحمد الخراط ، ط/ دار القلم ــ دمشق.
- ديوان جرير . تحقيق د/ نعمان محمد أمين ط/ الثالثة ــ دار المعارف.
- ديوان أبي تمام بشرح التبريزي . تحقيق / محمد عزام ، ط/ دار المعارف ،
- ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) تقديم وشرح د/ محمد قاسم ط/ الأولى سنة ١٤١٥هـ ــ المكتب الإسلامي.
- ديوان حسان بن ثابت . تحقيق/ سيد حنفي حسانين .. ط/ دار المعارف.
- ديوان زهير ربن أبي سلمى . ، ط/ دار صادر ــ بيروت.

- ديوان قيس بن الخطيم . تحقيق: د/ ناصر الدين الأسد. ، ط/ ١٩٦٧م ــ دار صادر ــ بيروت.
- ديوان لبيد بن ربيعة العامري .. ط/ الأولى : ١٤٢٥هـ ــ دار المعرفة.
- الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر الأنباري ، تحقيق: د/ حاتم الضامن ط/ الأولى سنة ١٤١٢هـ ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت .
- سنن ابن ماجة . تحقيق : شعيب الأرنووط ، ط/ الأولى.
- سنن الترمذي . تحقيق/ أحمد محمد شاكر ، محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ الثانية سنة ١٢٩٥هـ ــ مكتبة مصطفى الحلبي.
- شرح الأربعين النووية لمحمد بن علي القشيري المعروف بابن دقيق العيد ، ط/ السادسة سنة ١٤٢٤هـ مؤسسة الرسالة.
- شرح سنن أبي داوود لبدر الدين العيني ط/ الأولى سنة ١٤٢٠هـ ــ مكتبة الرشد ــ الرياض .
- شرح صحيح البخاري لابن بطال . تحقيق : ياسر بن إبراهيم، ط/ الثانية سنة ١٤٢٣هـ ــ مكتبة الرشد ــ الرياض.
- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لعبد الله بن محمد الغنيمان، ط/ الأولى سنة ١٤٠٥هـ ــ مكتبة الدار ــ المدينة المنورة.
- صحيح البخاري . تحقيق/ محمد زهير ، ط/ الأولى سنة ١٤٢٢هـ
- صحيح مسلم . تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي ، ط/ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.
- صفات الله ــ عز وجل ــ الواردة في الكتاب والسنة لعلوي بن عبد القادر السقاف ، ط/ الثالثة : سنة ١٤٢٦هـ ــ دار الهجرة.
- صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال للقاضي حسين المهدي، ط/ وزارة الثقافة اليمنية .

- الطراز ليحيى بن حمزة العلوي، ط/ الأولى سنة ١٤٢٣هـ ـ المكتبة العصرية بيروت ـ لبنان .
- العقد الفريد لابن عبد ربه ١٧٧/٣ ط/ الأولى دار الكتب العلمية ـ بيروت.
- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ، تأليف/ محمد أحمد خليل ملكاوي، ط/ الأولى سنة ١٤٠٥هـ ـ مكتبة دار الزمان.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني، ط/ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيراوني . تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط/ الخامسة سنة ١٤٠١هـ ـ دار الجيل ـ بيروت.
- عمل اليوم والليلة لأبي عبد الرحمن النسائي . تحقيق: د/ فاروق حمادة ، ، ط/ الثانية : سنة ١٤٠٦هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت .
- عيار الشعر لابن طباطبا تحقيق/ عباس عبد الستار ط/ الأولى ١٤٠٢هـ ـ بيروت .
- غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني ط / دار القبلية ـ جدة
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ط/ دار المعرفة ـ بيروت
- في أصول النقد الأدبي وقضاياه لأستاذنا أ.د/ زهران محمد جبر ، ط/ سنة ١٤٠٨هـ.
- في النقد الأدبي للدكتور علي علي صبح، بدون طبعة.
- الكتاب والمصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر بن أبي شيبة العبسى تحقيق/ كمال يوسف الحوت، ط/ الأولى سنة ١٤٠٩هـ ـ مكتبة الرشد ـ الرياض.

- الكشاف لأبي القاسم جار الله الزمخشري ٢٤١/٣ ط/ الثالثة ، ط/ سنة ١٤٠٧هـ ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت.
- كشف المشكل من حديث الصحيحين لأبي الفرج بن الجوزي ، تحقيق/ علي حسين البواب، ط/ دار الوطن ــ الرياض.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق الثعلبي . تحقيق: أبي محمد بن عاشور ط/ الأولى : ١٤٢٢هـ ــ دار إحياء التراث العربي.
- الكشكول لبهاء الدين الهمذاني . تحقيق: محمد عبد الكريم النمريط/ الأولى : سنة ١٤١٨هـ ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت .
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء القريمي الكفوي ، تحقيق: عدنان درويش ، ط/ مؤسسة الرسالة ــ بيروت .
- اللزوميات لأبي العلاء المعري . تحقيق: أمين عبد العزيز الخانجي. ط/ مكتبة الخانجي ــ القاهرة . بحر: السريع.
- ما وقع في القرآن بغير لغة العرب لأبي شكيب محمد بن عبد القادر الهلالي ، ط/ الثالثة : سنة ١٣٩٠هـ ــ الجامعة الإسلامية المدينة المنورة.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير تحقيق : أحمد الحوفي، بدوي طبانة، ط/ دار نهضة مصر ــ الفجالة ــ القاهرة .
- مجمع الأمثال للميداني، ط/ دار المعرفة ــ بيروت ــ لبنان .
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني، ط/ الأولى سنة ١٤٢٠هـ ــ دار الأرقم ــ بيروت .
- مختصر صحيح البخاري لأبي عبد الرحمن الألباني، ط/ الأولى سنة ١٤٢٢هـ ــ مكتبة المعارف ــ الرياض.
- المخصص لابن سيدة ، تحقيق / خليل جفال ، ط/ الأولى سنة ١٤١٧هـ ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ، لسان العرب لابن منظور ط/ الثالثة

١٤١٤هـ ــ دار صادر بيروت.

- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن الملا الهروي القاري، ط/ الأولى سنة ١٤٢٢هـ ــ دار الفكر ــ بيروت .
- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري . تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا . ط/ الأولى سنة ١٤١١هـ ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت.
- مسند الإمام أحمد . تحقيق/ أحمد محمد شاكر، ط/ الأولى ــ دار الحديث.
- مسند الإمام أحمد . تحقيق/ شعيب الأرنؤوط ط/ الأولى ١٤٢١هـ ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت .
- مسند البزار . تحقيق/ محفوظ الرحمن زين الله، ط/ الأولى ــ مكتبة العلوم والحكم ــ المدينة المنورة.
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للعباسي ، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط/ بيروت ،
- المعجم الكبير للطبراني . تحقيق/ حمدي عبد المجيد السلفي، ط/ الثانية ــ مكتبة ابن تيمية ــ القاهرة .
- معنى لا إله إلا الله لأبي عبد الله الزركشي ، ط/ الثالثة ــ دار الاعتصام ــ القاهرة .
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للإمام فخر الدين الرازي ، ط/ الثالثة سنة ١٤٢٠هـ ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت .
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني تحقيق / صفوان عدنان، ط/ الأولى سنة ١٤١٢هـ ــ دار القلم ــ بيروت .
- مفهوم الإبداع الفني في النقد العربي القديم تأليف / مجدي توفيق ، ط/ ١٩٩٣م ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- موسيقى الشعر الدكتور / إبراهيم أنيس ط/ السادسة ، مكتبة الأنجلو

المصرية بالقاهرة.

- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني ، بدون طبعة.
- نتائج الفكر في النحو لأبي القاسم السهيلي ط/ الأولى سنة ١٤١٢هـ ، ط/ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان .
- النحو الوافي . تأليف/ عباس حسن ، ط/ الخامسة عشرة .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لشهاب الدين المقري التلمساني، تحقيق/ إحسان عباس ، ط/ الأولى سنة ١٩٦٨ ــ دار صادر ــ بيروت .
- النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه) لأبي الحسن القيرواني . تحقيق: د/ عبد الله عبد القادر ط/ سنة ١٤٢٨هـ ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت .
- نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، ط/ الأولى : سنة ١٤٢٢هـ ــ دار الكتب والوثائق القومية ــ القاهرة .